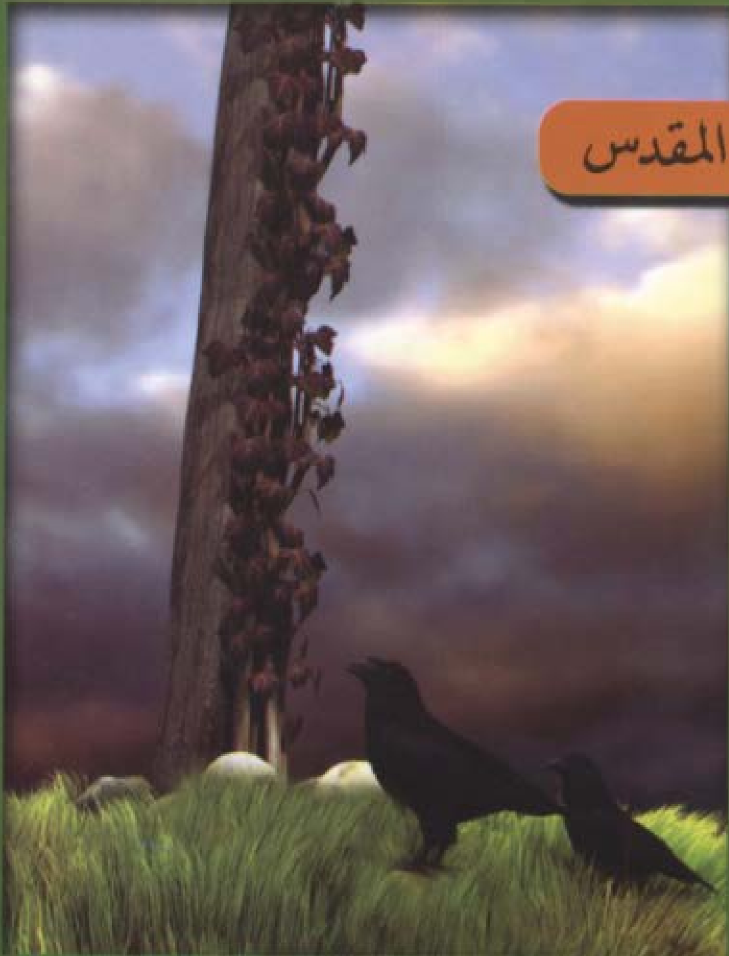


قراءة فى الكتاب المقدس

المهندس/ محمد أحمد الطاهر

تقديم
الدكتور/ محمد عمارة

مِيراث الخطيئة
صَلبُ المسِيح

قراءة فى الكتاب المقدس

ميراث الخطيئة
صلب المسيح

المهندس/ محمد أحمد الطاهر

تقديم

الدكتور/ محمد عمارة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

٢٧٢,١	محمد أحمد الطاهر.
م ح ق ر	قراءة فى الكتاب المقدس: ميراث الخطيئة، صلب المسيح/ محمد أحمد الطاهر؛ تقديم محمد عمارة. -القاهرة: دار الفكر العربى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
	١٦٤ ص؛ ٢٤ سم.
	بيليوجرافية: ص ١٦١
	المحتويات: ميراث الخطيئة - صلب المسيح.
	تدمك: ٥ ـ ٢٣٦٧ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
	١- الإنجيل. أ- العنوان.

جمع إلكترونى وطباعة

تصميم وإخراج فنى

محيى الدين فتحى الشلودى

رقم الإيـــداع ٢٠٠٨/٧٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبى المزارع البسيط الذى علمنى حب القراءة

تقديم

بقلم: الدكتور محمد عمارة

•••••••••••

هذا كتاب فى مقارنة الأديان.. وإن شئت الدقة: فى القراءة العلمية الموضوعية للنصوص الدينية المؤسسة للمسيحية على وجه التحديد..

وهو يتحلى بالموضوعية العلمية الصارمة.. ويسلك سبيل الأدب فى الحوار.. ويمتلك مقومات آداب البحث والمناظرة، التى تعارف عليها واتفق العقلاء الذين بلوروا هذا الفن فى تراثنا الحضارى..

ولذلك، كانت المقاصد من وراء تأليفه هى طلب الحقيقة الموضوعية.. وفتح الأبواب أمام العقول التى تنشد هذه الحقيقة ﴿... لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾ [الأنفال].

***

وإذا كانت لى من كلمة ألفت إليها الأنظار والبصائر - فى التقديم لهذا الكتاب - فهى:

* أن المسلمين الذين يدعون غيرهم إلى الإسلام - عبر مقارنة الأديان - لا يخلو هؤلاء المدعوون من أحد ثلاث حالات:

أ - أن يكون المدعو وثنيا، ليس على دين من الديانات السماوية الثلاث..

وفى هذه الحال تكون دعوة الوثنى - أو اللا دينى - إلى الإسلام هى دعوة للإيمان بالديانات السماوية الثلاث - التى يتفرد الإسلام بالإيمان بها، والاحتضان لأصولها، والاحترام لكتبها ورسلها.. ومن ثم فإن الدعوة إلى الإسلام والتبشير به بين الوثنيين واللادينيين لا يمثل كفرا أو

ازدراء لأى من الديانات السماوية، بل على العكس، فإن فيه التبشير بكل نبوات السماء ورسالاتها وشرائعها وكتبها ومنظومات قيمها وأخلاقها..

ب - وفى حال ما إذا كان المدعو إلى الإسلام يهوديا، فإن دعوته إلى الإسلام لا تمثل ازدراء لليهودية ولا للنصرانية، ولا كفرا بهما.. وإنما هى - على العكس - تتضمن بقاء الإيمان والاحترام لليهودية.. وإضافة الإيمان والاحترام للنصرانية والإسلام.. فانتقال اليهودى - ونقله - إلى الإسلام يضيف لإيمانه باليهودية، ولا ينتقص من يهوديته، ولا يمثل أى ازدراء لكتابها ولا لشريعتها ولا لأنبيائها.. وليس كذلك الحال فى التبشير باليهودية - إذا حدث - لأن الانتقال من المسيحية أو الإسلام إلى اليهودية فيه كفر بهما وازدراء لهما.. الأمر الذى لا يسوى بين دعوة اليهودى للإسلام وبين دعوة النصرانى أو المسلم إلى اليهودية، من حيث الإيمان والاحترام لمجمل الديانات السماوية الثلاث.

جـ - وكذلك الحال إذا كان المدعو إلى الإسلام نصرانيا، فإن انتقاله من النصرانية إلى الإسلام فيه الحفاظ على إيمانه باليهودية وبالنصرانية، مع إضافة الإيمان بالإسلام - كتابه وشريعته ورسوله - إلى ما لديه من إيمان.. فليس فى هذه الدعوة للنصرانى إلى الإسلام أى كفر بمجمل ما لديه، ولا أى ازدراء لوصايا إنجيله ومنظومة القيم والأخلاق الحاكمة لإيمانه الدينى..

إنها دعوة له كى يصعد درجة على «سلم النبوات والرسالات والكتب والشرائع التى توالى نزولها من الله الواحد إلى الإنسان.. إنها دعوة إلى إضافة قداسة مكة وحرمتها إلى قداسة القدس وحرمتها.. وليست انتقاصا من قداسة مقدسات الآخرين.. بينما دعوة النصرانى المسلم إلى النصرانية فيها دعوة إلى لكفر بدين سماوى، والجحود بكتاب سماوى، والازدراء لرسول الإسلام وشريعته الخاتمة..

وعن هذا الفارق الجوهرى بين دعوتنا الآخرين إلى الإسلام، وبين دعوتهم لنا إلى شرائعهم.. تحدث الصحابى حاطب بن أبى بلتعة (٣٥ ق هـ - ٣٠ هـ ٥٨٦ م - ٦٥٠ م) - فى حواره مع المقوقس - عظيم القبط - سنة ٧ هـ، سنة ٦٢٨ م عندما حمل إليه رسالة رسولنا ﷺ.. فلقد جاء فى هذا الحوار ما يؤكد هذه الحقيقة.. حقيقة أن الدعوة إلى الإسلام هى دعوة إلى «إضافة» وليست دعوة إلى «انتقاص» أو «كفر» أو «جحود» أو «ازدراء» كما هو الحال فى دعوات الآخرين وتبشيرهم.. الأمر الذى يعطى الشرعية والمشروعية والمنطق والعدل للدعوة للإسلام على وجه الخصوص والتحديد..

لقد بدأ المقوقس بسؤال حاطب:

- ما الذى يمنع صاحبك - [أى الرسول ﷺ] - إن كان نبيا - أن يدعو علىّ، فيُسلَّط علىّ؟!

- فأجاب حاطب: منعه الذى منع عيسى ابن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يُفْعل به ويُفْعل! - [فوجم المقوقس ساعة - [أى فترة] - ثم استعاد إجابة حاطب.. فأعادها عليه حاطب.. فسكت المقوقس] -..

وهنا استأنف حاطب الحوار، فقال للمقوقس:

- إن لك دينا - [أى النصرانية] - لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافى به الله فَقْدَ ما سِواه. وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد. وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به(١).

وهكذا.. ومنذ اللحظات الأولى لخروج الدعوة إلى الإسلام من شبه الجزيرة العربية.. كانت الدعوة إلى الإسلام بمثابة «الإضافة» لا «الانتقاص» مما لدى الآخرين.. وبمثابة المزيد من الاحترام لمجمل ما عندهم، لا الازدراء لأى من

(١) ابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص ٤٦ . طبعة ليون سنة ١٩٢٠م.

الثوابت التى اجتمعت عليها طوائفهم ومذاهبهم.. وبمثابة إضفاء القدسية على جميع الرموز الدينية، التى لم يتم تقديس جميعها إلا فى إطار الإسلام.

إن اليهودى كافر بالنصرانية والإسلام، وجاحد لهما، ومزدر لرموزهما وعقائدهما. فإذا دخل اليهودى النصرانية أضاف الإيمان بها والاحترام لها إلى ما كان لديه.. وظل على كفره وجحوده وازدرائه للإسلام.. فإذا ما دخل النصرانى إلى الإسلام فإنه يضيف إلى إيمانه واحترامه لليهودية والنصرانية الإيمان والاحترام للإسلام، ولكل مواريث النبوات والرسالات والشرائع والكتب التى مثلت هدى السماء الى الإنسان، على مر تاريخ النبوات والرسالات..

إن اليهودى هو أشبه ما يكون - إزاء الديانات السماوية - بالحاصل على «شهادة الإعدادية».. فإذا دخل النصرانية كان كمن أضاف «شهادة الثانوية» إلى «الإعدادية».. فإذا دخل النصرانى إلى الإسلام كان كمن أضاف «الشهادة الجامعية» إلى «الإعدادية» و«الثانوية».

ومن هنا كان الفارق الجوهرى بين التبشير بالإسلام وبين التبشير بغيره من الأديان.. فارق الإضافة للإيمان والاحترام للرموز الدينية.. بدلا من الانتقاص والازدراء.

إن الفيلسوف الفرنسى «روجيه جارودى» عندما اعتنق الإسلام قد أضاف إلى إيمانه بموسى وعيسى الإيمان بمحمد ﷺ. وأضاف إلى إيمانه بالتوراة والإنجيل الإيمان بالقرآن.. وأصبح داعية إلى ملة إبراهيم، الذى هو الأب لجميع هؤلاء الأنبياء..

بينما سلمان رشدى - الذى ارتد عن الإسلام - قد نكص عن الإيمان بالإسلام وكتابه وشريعته ورسوله.. وأحل ازدراءه لهذا الدين السماوى محل الاحترام الذى كان قائما قبل الارتداد..

ذلك أن التصديق بالوحى القرآنى هو تصديق بمطلق الوحى الإلهى لجميع لأنبياء والمرسلين على امتداد تاريخ النبوات والرسالات: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا

أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء]. . ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ... ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة]. .

ولهذه الحقائق - الموضوعية والمنطقية والعقلية - كان الحق والعدل والإنصاف فى منع الدول الإسلامية التنصير الرسمى فى مجتمعاتها. . لأنه ليس حجرا على الحرية المشروعة، وإنما هو حماية لمقوّم أساسى من مقومات الدولة والمجتمع. . وحرص على عدم الانتقاص من مجمل الإيمان بكامل الشرائع الدينية. . ومنع لازدراء أى من الديانات السماوية. . فبالإسلام يكتمل الإيمان بالدين الإلهى الواحد، والاحتضان للشرائع السماوية المتعددة، والاعتراف بكل الكتب السماوية. . من صحف إبراهيم وموسى. . إلى إنجيل المسيح عليه السلام. . إلى القرآن الكريم الذى نزل على الرسول الخاتم، ﷺ. . مصدقا لما بين يديه من كتاب - مطلق كتاب -: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة]. .

* * *

ولأن هذه هى حقيقة الدعوة إلى الإسلام - إضافة إيمانية - وليست كالتبشير بالديانات الأخرى. . انتقاصا وكفرا وازدراء -. . كانت الأبواب التى تفتحت أمام الدعوة الإسلامية - تاريخيا وحتى الآن - دون إكراه. . أو عنف. . أو حتى «مؤسسة» للدعوة والتبشير بهذا الإسلام. .

ولقد شهد على هذه الحقيقة عدد كبير من علماء الغرب - الخبراء فى جميع الديانات وتاريخ هذه الديانات. . شهدوا على تميز الإسلام وتميز الدعوة إليه. . تميزه بالعقلانية. . وتميز الدعوة إليه بالسلم والموعظة الحسنة. .

* فقال «جورج سيل» Sale . G - [١٦٩٧-١٧٣٦] - الذى ترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية -: «لقد صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له فى العالم. . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعا عظيما. . »(١).

* وقال سير توماس أرنولد [١٨٦٤-١٩٣٠]. . وهو العلامة الحجة فى الاستشراق وفى دراسة السبل التى انتشر بها الإسلام - وصاحب الكتاب العمدة فى هذا الميدان -:

«لقد قيل إن «جستنيان» [٤٨٣-٥٦٥م] - الإمبراطور الرومانى - أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان. . وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين، بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية - حاضرة مصر وقتئذ - لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»(٢).

«. . ونستطيع أن نستخلص بحق أن القبائل العربية «المسيحية» التى اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح.

---

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ١٨٥، ترجمة د. حسن إبراهيم، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة ١٩٧٠م.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣، ١٢٤.

ولا شك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين القديم إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشىء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلا من الجزية الصدقات الشرعية، وهى الزكاة التى كانت تفرض سنويا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية.

ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة - [الجزية] - على المسيحيين - كما يريدنا بعض الباحثين على الظن - لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة.. وهم غير المسلمين من رعايا الدولة، الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة فى الجيش، فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم سيوف المسلمين -..

ومن الواضح أن أى جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت فى خدمة الجيش الإسلامى، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة - وهى قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية - سالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونا لهم، وأن تقاتل معهم فى مغازيهم، على شريطة ألا تؤخذ منها الجزية، وأن تُعْطى نصيبها من الغنائم..

ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس فى سنة ٢٢ هـ أُبرِم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التى تقيم على حدود هذه البلاد، وأُعفِيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية..

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية، فى حالة المسيحيين الذين عملوا فى الجيش أو الأسطول فى ظل الحكم التركى، مثال ذلك ما عُومل به أهل «ميغاريا» - Migaris - وهم جماعة من مسيحيى ألبانيا الذين أُعفوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يقدموا جماعة من الرجال المسلحين لحراسة الدروب على جبال Geranes Githaeron التى كانت تؤدى إلى خليج كورنثة.

وكـان المسيحـيون الذين اسـتُخدمـوا طلائع لمقدمـة الجيش التركى لإصلاح الطـرق وإقامة الجسور، قد أُعفوا من أداء الخراج، ومُنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب، وكذلك لم يدفع أهالى Hydre، المسيحيون، ضرائب مباشرة للسـلطان، وإنمـا قدّموا فى مـقابلـها فرقـة من مائتـين وخمسـين من أشد رجال الأسطول التركى كان ينفق عليهم من بيت المال فى تلك الناحية.

وقد أعفى أيـضا من الضريبـة أهالى رومانيا الجـنوبية، الذين يـطلق عليهم Armaloli وكانوا يؤلفون عـنصرا هاما من عناصـر القوة فى الجيش التركى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ثم المرديون Mardites - وهم قبيلة كاثوليـكية ألبانية كانت تحتل الجـبال الواقعة شمالى أسكدار Scatari - وكان ذلك على شريطة أن يقدموا فرقة مسلحة فى زمن الحرب.

وبتـلك الروح ذاتـها لم تقـرر جزية الـرءوس على نصـارى الإغريق الذين أشرفوا على القناطر التى أمدت القسطنطينية بماء الشرب، ولا على الذين كانوا فى حراسة مستودعات البارود فى تلك المدينة نظرا لما قدّموا للدولة من خدمات.

ومن جهة أخرى أُعفى الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفُرضت عليـهم الجزية فى نظير ذلك، كما فُرضت على المسيحيين. .

* * *

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التـصديق. . إن نظرية الـعقيدة الإسلاميـة تلتزم التـسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى. .

ولقـد ظل غيـر المسلـمين، عـلى وجه الإجمال، يـنعـمون فى ظل الحكم الإسلامى بدرجات من الـتسامح لم نـكن نجد لهـا مثيلا فى أوروبـا حتى عصور حديثة جدا.

وأن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقا لتعاليم القرآن. . ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدين... ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة] - ﴿...أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس] - ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].

وإن مجرد وجود كثير جدا من الفرق والجماعات المسيحية فى الأقطار التى ظلت قرونا فى ظل الحكم الإسلامى، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذى نعم به هؤلاء المسيحيون، كما يدل على أن الاضطهادات التى كانوا يدعون إلى معاناتها بأيدى الطغاة والمتعصبين، إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وإقليمية، أكثر من أن تكون منبعثة من مبدأ مقرر من التعصب». .

لقد كان من السهل على أى حاكم من حكام الإسلام الأقوياء أن يستأصل شأفة رعاياه المسيحيين أو ينفيهم من بلادهم، كما فعل الأسبان بالعرب، والإنجليز باليهود مدة أربعة قرون تقريبا. وكان من الممكن تماما أن ينفذ سليم الأول [٨٧٥-٩٢٦ هـ/ ١٤٨٠-١٥٢٠م] فى ١٥١٤م - أو إبراهيم [١٠٤٩-١٠٥٨هـ/ ١٦٤٠-١٦٤٨م] فى سنة ١٦٤٦م تلك الفكرة البربرية التى تصورها للقضاء على رعاياه المسيحيين. . لكن طبقة المفتى الذين صرفوا أذهان سادتهم عن مثل هذا الغرض الذى ينطوى على القسوة، إنما فعلوا ذلك باعتبارهم أئمة الشريعة الإسلامية والتسامح الإسلامى.

إن المبدأ الذى وجد قبولا عظيما فى ألمانيا فى القرن السابع عشر، وهو أن لكل منطقة دينها الخاص، لم يقبله قط أى عاهل مسلم».

***

«وقد استطاع ميخائيل الأكبر Michael the Elder [١١٢٦-١١٩٩م] - بطريق أنطاكية اليعقوبى - أن يحبذ - فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر - ما قرره إخوانه فى الدين، وأن يرى أصبع الله فى الفتوح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون. وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات «هرقل» [٦١٠-٦٤١م]:

«وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء، ويرفع الوضيع، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا ديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة، أرسل إلينا أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم..

ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها.. ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»..

***

«ونجد أركلدوس دى مونت كروسيس Ricoldus de montire - وهو مبشر دومينقانى، زار الشرق فى نهاية القرن الثالث عشر - ينطلق بالثناء على المسلمين، الذين كان قد اشتغل بين أظهرهم، فيقول:

«لقد استولى علينا الدهش، كيف أن أعمالا تتصف بمثل هذا الكمال يمكن ان تحيا فى ظل شريعة غير مسيحية!.. ومن ذا الذى لا يعجب إذا تأمل جيدا أية عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب، وأى إخلاص فى الصلاة، وأية رحمة بالفقير، وأى تبجيل لاسم الله والأنبياء والأماكن المقدسة، وأى وقار فى أخلاقهم وفى معاملتهم للغرباء، وأية مودة تربط بين جنسهم؟؟»..

***

«.. وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من المسيحيين العرب.. فالظاهر أنهم قد انتهو إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامى الذى كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه (الاندماج السلمى) الذى تم بطريقة لم يحسها أحد منهم، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم فى الإسلام بالقوة عندما انضووا بادئ الأمر تحت لواء الحكم الإسلامى لما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين..

وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية فى أفريقيا الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أى زعم بأن تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه..»[1].

* * *

* كذلك شهد الأمير والمستشرق الإيطالى «ليون كايتانى Caetani» [١٨٦٩-١٩٢٦م] - وهو صاحب الدراسات الشهيرة والكبيرة فى تاريخ الشرق والإسلام.. وصاحب التحقيقات لعدد من أمهات كتب التاريخ الإسلامى - شهد للانتشار السلمى للإسلام، فقال:

«لم يضطهد العرب أحدا فى السنوات الأولى من أجل الدين، كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم، ومن ثم تمتع المسيحيون الساميون فى ظل الإسلام بعد الفتوحات الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة..».

«.. وما أُثر عن عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ/ ٥٨٤-٦٤٤م] من أنه أمر أن يُعطَى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت[2].. وهو لا ينسى الذميين حتى فى أُخرى وصاياه، إذ عهد فيها إلى من يخلفه بما ينبغى القيام به فى هذا المنصب السامى، فقال: «أوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم».

وهناك شواهد كثيرة تبين أن المسيحيين قلما كانوا فى عهد الفتوح الإسلامية الأولى يشكون مما يضعف من قوة دينهم..»[3].

* * *

(١) المصدر السابق ص ٧٠، ٧٥-٨٢، ١٠٢، ٨٨، ٤٦١، ٤٦٣، ٧٢، ٤٦٧، ١٠٣، ١٠٥، ٦٨، ١٥٣.

(٢) البلاذرى ص ١٢٩.

(٣) المصدر السابق ص ٧٠.

نـعم.. شهـد هؤلاء العـلمـاء الأفذاذ - الذين يمثلـون قمما فى الثقافة الأوروبيـة.. على الانتشـار السلـمى للإسلام.. كما شهـدوا على مكـانة العقل والعقلانية الإسلامية فى هذا الانتشار السلمى..

* فقال العلامة «كايتانى»:

«إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السـفسطة المـذهبية الـتى جبلتهـا الروح الهلـينية إلى اللاهـوت المسيحى. أما الشرق، الذى عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسـيطة، فقد كانت الثقـافة الهلينية وبالا علـيه من الوجهة الدينـية؛ لأنها أحالت تعـاليم المسيح البسـيطة السامية إلى عقـيدة محفوفة بمذاهب عويـصة مليئة بالشـكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها.

فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الـوحى الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحـية الشرقـية التى اخـتلطت بـالغش والزيف، وغـرقت بفعل الانـقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريّب، لم تـعد المسيحيـة بعد ذلك قادرة على مـقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بـضربة من ضرباته كل الشكوك التافـهة، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب»..

* كذلك شـهد الـفيـلـسوف الأمـريكى «جـون تايـلور» Gunon Tuylor [١٧٥٣-١٨٢٤م] على دور هـذه العقلانية - التى تفرد بها الإسلام - فى الانتشار السلمى لهذا الدين، فقال:

«إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة فى أفريقيا وآسـيا. لقد كان أئمة اللاهـوت فى أفريقيا والشام قد اسـتبدلوا عقائد مـيتافيزيقية عويصـة بديانة المسيح، ذلك أنهم حاولوا أن يحـاربوا ما ساد هذا العصر من فساد

بتوضيح فضل العزوبة فى السماء، وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس فى الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم. فأزال الإسلام، بعون من الله، هذه المجموعة من الفساد والخرافات. لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التى تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة أخرى ويوما للحساب، وأعد للأشرار عقابا أليمًا، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الدينى والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين فى الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية»(١).

* * *

* كذلك شهد على هذه العقلانية الإسلامية - عقلانية الفطرة - التى تميز بها الإسلام وامتاز.. والتى لعبت دورا كبيرا فى انتشاره السلمى.. المستشرق الفرنسى البروفيسور «مونتيه» [١٨٥٦-١٩٢٧] - الذى ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية، وكتب مؤلفه المرموق عن [حاضر الإسلام ومستقبله] - فقال:

«إن الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق.. وإن لدين محمد كل العلامات التى تدل على أنه

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩-٩٢.

مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل.. إن عقيدة الإسلام فى الوحدانية وفى النبوة والرسالة إنما تستقر فى نفس المتدين به على أساس ثابت من العقل والمنطق، وهى تلخص كل تعاليم العقيدة التى جاء بها القرآن، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام.

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التى بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا.

وإن هذا الإخلاص لمبدأ الدين الأساسى، والبساطة الجوهرية فى الصورة التى يصاغ بها هذا الدين، والدليل الذى كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشرها اقتناعا يلتهب حماسة وغِيرة، إن هذا كله يكوّن الأسباب الكثيرة التى تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية، ثم هى تبعا لذلك فى متناول إدراك الشخص العادى، أن تمتلك، وإنها لتمتلك فعلا، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس»..

* * *

* أما اللاهوتى الكاثوليكى، والمستشرق الإيطالى «الآب مراتشى» Maracci [١٦١٢--١٧٠٠] - وهو الذى نشر القرآن متنا وترجمه بالإيطالية.. وألف كتاب [دراسة عن الإسلام].. وأسهم - كذلك - فى ترجمة العهدين القديم والجديد - فهو يشهد شهادة الخبير على امتياز الإسلام ببساطة الفطرة وعقلانيتها فيقول:

«لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التى فاقت طاقة الذكاء البشرى، أو التى هى - على الأقل - من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة -

[العـقيدة المسيحية] - وبين عـقيدة القرآن، لانصرف من الأولى فى الحال، وأسرع إلى الثانية فى ترحيب وقبول. .

يقول القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾﴾ [الحجـرات] وهى نظرية دينية تتحـقق على صورة رائعة تبعث عـلى الدهش فى المجتمع الإسلامى، وقلما تعجز عن أن تتجلى فى أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد، ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه فإنه يُقبل فى زمـرة المؤمنين، ويـتبوأ مـكانة على قـدم المساواة مع أقرانه المسلمين. .

لقد روعى فى تأليف هيئة الكنـيسة منذ بدء تاريخها لنشر التعاليم المسيحية، أن يكون مـبشروها - فى أغلب الأحيان - قساوسة ورهـبانا، يعيّنون لهذا الغرض بانتظام.

أما فى الإسلام، فإن عدم وجـود أى لون من ألوان الـكهنوت أو أيـة هيئة دينية مـنظمة أيـا كانت، قد جعل نـشاط الدعوة عنـد المسلمـين يتجلى فى صور مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى تظهـر فى تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية، فليس هناك - فى الإسلام - جمعيات للدعوة، ولا يوكلون مدربين لهذا الغرض، كما أنه قلما نجد مواصلة الجهود فى هذا السبيل. .

ولم يـكن النشاط الروحى للإسلام - كمـا زعم عدد كبير جدا من الناس - متمشيا مع سلطانه السياسى بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعـاش المادى، يعـمل على إبراز أجمـل الصفات الـروحية الـتى تعد أصدق البواعث التى تحفز على القيام بأعمال الدعوة. .»[(١)].

* * *

هكذا شهد الكثيرون من أعلام علماء الغرب ومستشرقيه - الذين جمعوا بين الدراسة للإسلام وحضارته والدعوة إليه وبين الدراسة للديانات الأخرى وحضارتها

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧، ٦٢، ٤٥، ٢٨-٣٠، ٤٥٤-٤٥٧، ٤٤٩، ٤٦٩.

والدعوة إليها - على تميز الإسلام وامتيازه بعقلانية الفطرة.. وبساطة العقيدة.. ومناسبتها لعامة الناس وجماهيرهم.. ومن ثم امتلاكه ميزة الانتشار السلمى السريع والمدهش، مع خلو تاريخه وتاريخ الدعوة إليه من المؤسسات التبشيرية التى تدعو إليه.. ومن النفوذ السياسى للنظم والحكومات التى حكمت بلاد الإسلام.. وهكذا تميزت الدعوة إلى الإسلام عن التنصير، وبشهادة هؤلاء العلماء الأعلام من النصارى الغربيين..

***

بهذا «المنطق العقلانى المجرد».. وبهذه الشهادات النصرانية الغربية فى مقارنة الأديان.. آثرنا أن يكون هذا التقديم لهذا الكتاب.. الذى ينشد كاتبه فتح الأبواب أمام العقول، لإدراك الحقيقة.. وتأملها.. وذلك ليكون الخيار والاختيار مؤسسا على الحقائق الصلبة.. لا على التقليد لما كان عليه الآباء والأجداد.. أو الظنون التى لن تغنى عن أصحابها شيئا.. أو المصالح الزائفة التى لن تغنى عن المتمتعين بها شيئا.. يوم لا يغنى عن الإنسان أية مصالح.. أو ظنون.. أو حتى الآباء والأجداد..

والله الهادى إلى سبيل الرشاد.

دكتور

محمد عمارة

مقدمة

●●●●●●●●●●●

ابتدأت علاقتى بأسرار العقيدة فى الدين المسيحى فى السبعينيات من القرن الماضى بعدما حضرت جلسة بمدينة دمياط كان أحد المسيحيين يبشر بين المسلمين بألوهية المسيح، وأن الإله (الآب) أرسل ابنه الإله أيضا (الكلمة) ليحل فى رحم عذراء (مريم) ويتأنس - أى يحل فى جسد إنسان - وأن الإله (الروح القدس) وهو الأقنوم الثالث فى الثالوث - صنع هذا الجسد. وأن هذا الإله المتأنس قد صلب وأريق دمه فداء للبشر لأنهم قد تدنسوا بالخطيئة التى ورثوها جيلا بعد جيل من أبيهم الأول آدم. . . . فبدا لى هذا الأمر غريبا ولا يتفق مع الصورة التى تقبلها الفطرة والبداهة للإله. . فلم يقبل عقلى أن يحل إله فى رحم امرأة لمدة تسعة أشهر - مدة اكتمال الحمل (كنص الأناجيل) - ثم يولد فى حظيرة مواشى. . إلخ. ويموت الإله على الصليب، ثم يقوم من الأموات. وتساءلت يومها، لم كل هذا؟. . فكان الرد؛ لأن آدم أبو البشرية عصى أمر ربه وأكل من شجرة نهاه الله عن الأكل منها، وبذلك ارتكب خطيئة وتدنس! وورثت ذريته من بعده هذه الخطيئة جيلا بعد جيل، الذى كان سببا فى خلودهم فى جهنم النار الأبدية من عهد آدم حتى نزل المسيح (ابن الله - وهو أيضا الله) ومات على الصليب، وقام من الأموات وصعد إلى السماء. . . وتزاحمت الأسئلة فى رأسى. . أى شجرة تلك التى يستحق الأكل منها كل ذلك؟ قيل لى بأنها شجرة معرفة الخير والشر (الذى لم يكن آدم يعرفهما قبل الأكل من هذه الشجرة). . وكيف يتم معاقبة إنسان عن شر فعله وهو لم يعرف أنه شر، ولم يؤهل للاتقاء من الوقوع فيه؟. . وهل معرفة الخير والشر تتم بمجرد الأكل من ثمرة معينة؟. . ولماذا لم يعمم الله هذه الشجرة ويأمر الناس بالأكل منها بدلا من إرسال الرسل والكتب السماوية؟. . وعلى الفرض الجدلى بأن هذه الشجرة واقع، هل يستحق

هذا الخطأ البسيط جدا، أن يحكم على آدم وذريته من بعده حتى مجىء المسيح بالعذاب والخلود فى جهنم النار الأبدية؟. . وهل يستدعئ ذلك أن ينزل الإله ويقدم نفسه ليموت على الصليب ويسيل دمه حتى يستطيع أن يغفر؟. وهل يعجز الله أن يغفر بدون تقديم قربان وإراقة دماء؟. . وماذا عن الأخطاء التى تزلزل الكون التى تقع من بنى الإنسان كل يوم، ولم نر إلها ينزل. .؟. . ولم أرد أن أسترسل - وقتها - فى الأسئلة خوفا من الزلل.

ومع أنى لم أقبل ما سبق إلا أننى لم أكن أملك المعلومات الكافية للرد على ذلك - حتى بينى وبين نفسى -. . . فبدأت رحلتى مع القراءة، ووجدت عجبا. . .

وعند قراءتى للأناجيل وجدت عند محاكمة المسيح (الإله) أمام السنهدرين بادره أحد الخدم ولطمه على وجهه، حتى أن المسيح قال له: «إن كنت قد تكلمت رديًا فاشهد على الردئ، وإن حسنًا فلماذا تضربنى» يوحنا ١٨/ ٢٣. . . ووجدت أيضا فى المحاكمة الأولى بدار رئيس الكهنة. . «حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك». . متى ٢٦ / ٦٧-٦٨. ووجدت ثالثا عند المحاكمة الثانية بدار الولاية. . «وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزأوا به. . . .». متى ٢٧ / ٣٠-٣١. . ووجدت - أيضًا - هولاً!!. إذ وجدت أن بولس فى إحدى رسائله قال - وقَبِل - «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا». . يا سبحان الله!!.

ولم أقبل عن إلهى أن يكون بهذا الشكل - يُستهزأ به ويوصف باللعنة!!. . وأكملت القراءة فوجدت. . .

يقولون بأن الله يتكون من ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها هو إله، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد. . وأن الأفعال الإلهية الخارجة وإن كانت مشتركة بين الأقانيم الثلاثة، إلا أن بعضها ينسب إلى أقنوم الآب. وبعضها ينسب إلى أقنوم الابن. وبعضها ينسب إلى أقنوم الروح القدس. . فأفعال القدرة والتدبير تنسب للآب،

والحكمة والفهم للابن، والجودة والتعزية للروح القدس. وكمثال فإنهم يقولون بأن معرفة يوم الدينونة ورسمه هو فعل من أفعال التدبير الإلهى فهو يختص بالآب.. غير أن ذلك لا ينفى اشتراك الابن والروح القدس معه، كما أن نسبة التعزية للروح القدس، لا تنفى نسبتها للآب والابن، واختصاص وظيفة الدينونة بالابن لا ينفى نسبتها للثالوث الأقدس.. (كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية للعلامة القمص المتنيح ميخائيل مينا مدير كلية اللاهوت بحلوان)...

لم أفهم من هذا الكلام شيئا. لأن آخره ينفى أوله، فكيف تكون الأفعال الخارجة مشتركة ما بين الأقانيم الثلاثة، ومع ذلك يكون بعضها (بعض الأفعال) ينسب إلى الآب وبعضها ينسب إلى الابن وبعضها ينسب إلى الروح القدس؟. كذلك.. كيف تكون الأفعال التى يجوز أن نطلق عليها تخصصية (أى أن كل أقنوم يختص ببعض هذه الأفعال)، كيف تكون هذه الأفعال التخصصية أيضا مشتركة بين الكل؟.. وإذا كان الأمر كذلك، أليس معناه أن الهًا واحدًا من الثلاثة كافٍ لكل الأفعال؟... هذا فضلا عن.. كيف يكون الثلاثة واحدًا؟... يقولون بأن هذا الأمر مستحيل فهمه بالعقل، وأنه فوق إدراك البشر..

ولقد بحثت فى الكتاب المقدس بعهديه (العهد القديم والعهد الجديد) فلم أجد أى ذكر لكلمة أقنوم، أو أن الله يتكون من ثلاثة آلهة... فكيف يطلب من إنسان أن يؤمن ويعتقد فى شىء يفوق قدرة العقل؟.

وإذا كانت بالفعل هذه الأمور فوق إدراك البشر، فلِمن أُرسلت، وكيف يطلب من إنسان لا يعلم عن المسيحية شيئا أن يؤمن بشىء فوق إدراك عقله، دونما نص مقدس قطعى الثبوت والدلالة يقول بذلك؟..

لا يُقبل فى ذلك القول بنصوص ظنية، يمكن أن تحتمل أكثر من معنى. لأنه وبحسب أصول الاستدلال، أن ما تطرق إليه الاحتمال لا يصح به الاستدلال. خاصة فى العقائد.. وإذا كانت هذه الأمور فوق إدراك العقل البشرى، ولا يوجد نص مقدس قطعى يثبتها.. إذا كان ذلك.. فأى عقل أنتجها؟!!.

وبحثت فى الأناجيل، فهالنى أن أجد نصوصا هائلة تصرح بإنسانية المسيح.. وهالنى أكثر أن أجد مشايخ المسيحية يلجأون لتبرير ذلك، بأن ينسبوا إلى المسيح أنه يتكلم مرة بصفته إله، ومرة بصفته إنسان! دونما استناد إلى نص مقدس قطعى، خاصة أنه لم يثبت عن المسيح أنه قال، إن هذا النص أقوله بصفتى إنسان، والنص الآخر أقوله بصفتى إله.. بل إن ما هالنى أكثر، أن أجد أن النصوص التى يصرح فيها المسيح بإنسانيته، هى نصوص قطعية الدلالة، لا تحتمل أى تفسير يخالف ظاهرها...

فكنت عندما أقرأ فى الأناجيل بأن المسيح قال:

١ - «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة (يقصد يوم الدينونة) **فلا يعلم بهما أحد** ولا الملائكة الذين فى السماء **ولا الابن**». مرقص ١٣ / ٣٢.

٢ - «وإذا واحد تقدم وقال له، أيها المعلم **الصالح**، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال له **لماذا تدعونى صالحا، ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله**». متى ١٩ / ١٦-١٧..

٣ - قال المسيح وهو معلق على الصليب «**إلهى إلهى** لماذا تركتنى» متى ٤٦/٢٧.

٤ - «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقى وحدك** ويسوع المسيح الذى أرسلته» يوحنا ١٧ / ٣.

٥ - «إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، **وإلهى وإلهكم**» يوحنا ٢٠ / ١٧.

٦ - «قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى. **وأنا إنسان** قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» يوحنا ٨ / ٣٩-٤٠.

يا سبحان الله.. ما هو المطلوب أكثر من ذلك.. إن المسيح يصرح فى هذا النص بأنه إنسان.. وأنه قد سمع الحق الذى بلّغه لهم من الله.. وفى هذا النص

الواضح والمحكم أثبت لنفسه صفة الإنسانية. ولا يوجد نص مقابل قطعى ومحكم يثبت لنفسه الألوهية.

أما ما أثارنى أكثر فهو ليس قولاً للمسيح، قد ينفع لبعض العقول أن يقال لها بأنه يتكلم بصفته إنسانًا أو بصفته إلهًا، بل هو فعل... وذلك كموقف المسيح مع شجرة التين (متى ٢١/١٨-٢٠):

«وفى الصبح إذ كان راجعًا إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقًا فقط. فقال لها لا يكن منك ثمرٌ بعد إلى الأبد.. فيبست التينةُ فى الحال».

فى هذا النص صرح المسيح بإحساسه بالجوع، وفى ذلك إقرار منه باحتياجه إلى شىء ينقصه، وهو الأكل.. أيضا ظن بأن التينة مثمرة.. فكان الواقع خلاف ظنه.. ولفت نظرى فى هذا النص بأن المسيح لم يقل كلاما قد يفسر على ظاهره أو تأويلا.. ولكنه فعل أفعالا، حملها على غير ظاهرها افتئات.

وبحثت عن إجاباتهم وتفسيراتهم عن مثل ذلك، فوجدت تفسيراتهم - بالنسبة لى - تزيد الأمور تعقيدا.... وقد احتملت أن يكون العيب فى أنا شخصيا وفى مقدرتى على الفهم..

لذلك قررت أن أبحث فى نشأة هذه العقيدة وتطورها. فوجدت أن أولها يعتمد على فكرة **وراثة الخطيئة**.. والتى يقولون عنها.. بأن آدم أخطأ - حين أكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها - (ولم يخطئ آدم أى خطأ آخر خلاف ذلك). فاستحق اللعنة على ذلك، وورثت ذريته عنه هذه الخطيئة وبالتالى اللعنة جيلا بعد جيل، حتى قرر الله - من فرط محبته للإنسان - أن ينزل ويتأنس ويحل فى رحم عذراء - مريم - ويعايش الناس، ويقدم نفسه فداءً للبشرية بالموت صلبا حتى يكفر عنهم، ويستطيع أن يغفر لهم خطيئة آدم. وينقذهم من العذاب والخلود فى النار الأبدية جزاء خطيئة أبيهم آدم - الأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها -.. فقط.!!

واحترت فى سؤال ألح على، من أين أتـوا بنظرية وراثة الخطيئة - والتى لا تقبلهـا فطرة وتأباها البديـهة. إلا أننى لم أكتف بالفـطرة ولا بالبديهة (لأن بعض العقول لا تلقى بالا للفطرة أو البديهة، بل تعتمد فى عقائدها على التقليد).. بل كنت محتاجا إلى نص، أو نصوص، مقدسـة - واضحة وصريحة وقطعية الثبوت والدلالة لأن ذلك ضرورى للعقائد - تثبت أو تنفى هذه العقيدة....

وعـند قـراءتى فى العـهد الـقديم، بـسفـر إرميـا وسفـر حزقـيال وجدت ضالتى... فقد لفت نظرى أن نظرية وراثة الخطيئة ليست جديدة على بنى إسرائيل (المكونين الأول للعـقيدة المسيحية)، وأن هذه النظرية كانت موجودة فيهم قبل عهد إرميا - قبل ستة قرون من ميلاد المسيح -، وقد حـارب الله هـذه العقيـدة ونفاها:

«فى تلك الأيـام لا يقولـون بعـد، الآباء أكلـوا حصـرمًا، وأسنـان الأبناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» سفر إرميا ٣١ / ٢٩-٣١.

فكانت هذه بالنسبة لى هى البداية...

فـبدأت بدراسـة الموضـوع، وذلك من واقع نـصوص الـكتـاب المقدس.. وأردفتهـا بإضافات آباء الـكنيسة الأول لـهذه النصوص (إضـافات من عندهم عبر المجامع).. ثم تـطرقت بعد ذلك إلى نصوص من الـعهد الجديد التى تـفيد تأكيد المسيح على ضرورة احترام نصوص العهد القديم. واستخرجت منهما ما يفيد بنفى عقيدة أو نظرية وراثة الخطيئة اعتمادا على هذه النصوص فقط.

تطرقت بعد ذلك إلى قـصة نوح كما رواها الكـتاب المقدس. والتى قادتنى إلى وجوب انتهاء عقيدة وراثة الخطيئة، على الفرض الجدلى بحقيقة هذه النظرية.

ثم تعـرضت بعد ذلك لهذه العقيـدة من منطلق مقتضـيات العقل فيها، فما وجدت لها معقول.

كان من المنطقى، ما دام قد تم نفى عقيدة وراثة الخطيئة، أن ينتفى - تلقائيا - ضرورة صلب المسيح. . . غير أننى تناولت هذه القضية (صلب المسيح) أيضا من واقع نصوص الكتاب المقدس، وقسمتها إلى ستة أقسام:

١ - أحداث بستان جشيمانى - مكان القبض على المسيح - وتعليق المسيح على الصليب. والذى خلصت فيه إلى أن العناية الإلهية تدخلت بحيث تؤدى الأحداث فى نهايتها إلى عدم موت المسيح على الصليب.

٢ - نبوءات الكتاب المقدس - كما ادعى كتبة الأناجيل - أنها كانت عن المسيح وصلبه. . والتى اتضح من مناقشتها بحيدة وبدون أفكار وافتراضات مسبقة. إلى أن هذه النبوءات (وعلى فرض صحة أنها كانت عن المسيح وصلبه). . تثبت عكس ما أرادوا. . . ثم تعرضت فى هذا إلى آية يونان النبى التى ضربها المسيح للكتبة والفريسيين عندما طلبوا منه آية. .

٣ - موقف بيلاطس. وأوضحت أنه ما كان يتمنى موت المسيح - كما نطقت بذلك الأناجيل -.

٤ - مريم المجدلية ويوسف الرامى ونيقوديمس (تلاميذ المسيح المتخفين والمتحضرين أكثر). وأظهرت ما ورد بالأناجيل من أنهم كانوا الوحيدين الذين حضروا إنزال المسيح من على الصليب، بعد تعليق لم يدم أكثر من ثلاث ساعات، وهى المدة التى رآها بيلاطس غير كافية لموت المصلوب.

٥، ٦ - تناولت سؤالين كان من الضرورى الإجابة عنهما، وهما: من دحرج الحجر عن القبر الذى وضع فيه المسيح بعد إنزاله من على الصليب؟. . . ومكان جسد المسيح؟. . حيث لم يشر أى مصدر سواء كتابى، أو عن طريق الآباء، إلى مصير جسد المسيح.

هذا، ولم أدخل فى مناقشتى للموضوع، أى افتراضات أو نصوص من خارج الكتاب المقدس. حتى لا أتهم بسوء القصد.. وعملا بقول المسيح.. «فتشوا الكتب».

فإن كنت قد أصبت فلله المنة والفضل فى ذلك. وإن كان غير ذلك فيكفينى شرف المحاولة، ويشفع لى أننى لم أخدش حق كل إنسان فى أن يعتقد بما شاء.. وأرجو أن يجازينى ربى بأجر المجتهد المخطئ.

وإننى أتوجه إلى الإخوة فى الإنسانية والمواطنة، مسيحيى الشرق، فأقرر بأننى لا أنكر عليهم حريتهم فى الاعتقاد بما يشاءون.. وإننى لم أرد بما كتبت أن أكون مبشرا بالإسلام بين المسيحيين، لأن هذا ليس دورى ولا بمكنتى.. وأننى أعتقد، كالمتنبى، بأن كل أهل جدال قانعون به، ولم أقصد كذلك أن أجرح اعتقادهم بعقائدهم كيفما شاءوا.. لذلك كانت اقتباساتى من الكتاب المقدس الذى يحترمونه ويجلونه، بل ويقدسونه.. ولم أقتبس حتى من كتابات بعض الآباء - من بعد المجامع - لاحتمال أن يكون رأيه ليس محل إجماع بينهم.. فقط نرجو من كل من يتصدى لعقائد الآخرين، أن يتناولها بحق وحيدة وبدون أفكار أو أحكام مسبقة، وبلا ادعاءات كاذبة، كما يفعل البعض، ومنهم بعض الكتاب البيزنطيين والأوروبيين منذ أكثر من اثنى عشر قرنا وحتى يومنا هذا، بدعايات قائمة على أساطير وأكاذيب... والتى قال عنها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه - دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره - إذ يقول:

«خلال تتبعى للمفاهيم التى تبناها الأوروبيون حول نبى الإسلام محمد انتابنى الذهول من جهلهم المطبق وعدوانيتهم الواضحة، وأحكامهم المسبقة المتأصلة وتحزبهم الطاغى ضد خصومهم. وهذا لا ينطبق فحسب على الشعب الجاهل والساذج، ولكنه ينطبق أيضا على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين.. وقد شهد ريناك (فرنسى) على تحامل أبناء جنسه وملته من المستشرقين على محمد، فيقول ريناك:

«لقد كتب المسيحيون تاريخا غريبا عن محمد.. إنه تاريخ يمتلئ بالحقد والكراهية له. لقد ادعوا بأن محمدا كان يسجد لتمثال من الذهب كانت تخبئه الشياطين له، ولقد وصمه دانتى بالإلحاد فى رواية الجحيم، وأصبح اسم محمد عنده، وعند غيره، مرادفا لكلمة كافر أو زنديق، ولقد كان محمد فى نظر كتاب العصور الوسطى تارة ساحرا وتارة أخرى فاجرا شنيعا ولصا يسرق الإبل، وكاردينالا لم يفلح فى أن يصبح بابا، فاخترع دينا جديدا أسماه الإسلام. وصارت سيرته رمزا لكل الموبقات وموضوعا لكل الحكايات الفظيعة». أرنست رينان - دراسات فى التاريخ الدينى - باريس ١٨٥٩م..

واستمر هذا الهجوم حتى اليوم، الأمر الذى لا يخفى على أى متتبع للموضوع.

ومن الأمثلة التى تكشف عن الموقف من الإسلام فى أوروبا - حتى هذه الأيام - كمثال، ما حدث عندما نشر الكاتب الفرنسى ميشيل هوليبك روايته «بلاتفورم» المليئة بالقذف والإساءة إلى الدين الإسلامى. وقد حصل بها على عدة جوائز عن روايته.. ولقد قال فى مقابلة مع مجلة «لير» الفرنسية عن الإسلام:

«إنه دين غبى»، وقارن بين القرآن والكتاب المقدس وقال: «إن الكتاب المقدس على الأقل مكتوب بشكل جميل، لأن اليهود يتمتعون بالموهبة الأدبية». وقد رفعت أربع هيئات إسلامية فرنسية دعوى أمام القضاء الفرنسى بطلب محاكمته بتهمة العنصرية والتحريض على كراهية ديانة المسلمين.. ولكنه كرر هجومه على الإسلام أمام المحكمة ووصفه بألفاظ بذيئة.. وأخيرا أصدرت المحكمة حكمها بالبراءة وقالت: «إن القانون الفرنسى يعاقب على ازدراء طائفة من الناس - ويعاقب بشدة على المساس بالسامية - ولكنه لا يعاقب على ازدراء دين ويعتبر ذلك إبداء لوجهة نظر فى إطار حرية الرأى». صحيفة الأهرام المصرية فى ٩ / ١٢ / ٢٠٠٧ صفحة ١١.

ولقـد عجبت من كلام هـذا المتعـصب الذى يبـدو أنه لا يقرأ - حتى أنه، وبسبب تهافت كلامه، يبدو أنه لم يقرأ الكتاب المقدس فضلا عن القرآن. فإن كل ما أعجبه فى الكتاب المقدس هو شكل كتابته الجميلة.

ولم يناقش مـحتواه.. ولقد عـجبت لأن المجتمع الغـربى يمنح جوائز على كذب وزيف.. وعجبت أكـثر أن تصل الجـرأة على عقائـد الآخرين أن يقال عن الإسلام إنه «دين غبى»، دون أدنى منـاقشة لمحتواه.. وأن يـصف الكتاب المقدس بأنه كتاب جميل، وأيضا دون مناقشة لمحتواه».. ويبدو أن هؤلاء لا يرون الجمال فـى مواضع الجمـال.. وهذا لـيس غريـبا على من يـدعون زيـفا أنـهم أصحاب حضارة.. فهم يـحتفظون فى أكبر متـاحفهم بلوحة لأحد فـنانى عصر النهضة - عبارة عن روث حمار -.. ويتباهون بأنه من فـرط إتقان اللوحة فإنه يمكن للناظر إليها أن يشم رائحة الروث!!!.

وحقـا ما وصف الدكتور رشدى فكار هذه الحضارة بأنها «حضارة الأشياء». ونضيف بأنها «منـزوعة الأخلاق والضمير».. حيث إنه وعلى مر العصور (اعتبارا من الـقرن الخامس عـشر الميلادى)، كـانت أوروبا مـصدرا لكل شـر فى العالم، ومازالت.. من استنزاف ثروات الشعوب فى عهد الاستعمار، وحتى اليوم.. من إبادة الهنود الحمر فى أمريكـا - الشمالية والجنوبية - (فى بعض التقديرات يزيدون على ٨٠ مليون شخص).. إبـادة سكان قارة أستراليـا الأصليون.. قتل أكثر من ١٠٠ ملـيون أفريقى أسود عند اصـطيادهم من الغابات فى أفريـقيا ونقلهم إلى ما صارت تعـرف بعد ذلك بـأمريكا.. استعباد أكـثر من عشـرة ملايين أفريقى فى أمـريكا. الذين قتلتهم أمريكا فى فيتـنام (أكثر من ٢ مليون).. إبادة قرى بأكملها من على الأرض فى فيتـنام.. حصار فاجر على الشـعب الفلسطينى.. العراق.. ومـعاونتهم وتأييدهم لكل الحكام المستبدين بشـعوبهم... والقائمة طويلة لا تعنينا فى موضوعنا.

ولقد وددت لو قابلت هذا المتعصب [مـيشيل هوليبك] حتى أهديه بعضا مما ورد فى كتابه، المكتوب بشكل جميل، والذى قال عنه برناردشو: «إنه أخطر كتاب فى العالم ويجب أن يوضع فى خزانة مقفلة ويبعد عن الأطفال»..

ولقد ورد فى كتابه الجميل ما لا يمكن أن يعتبر إلهاميا..

من ذلك أن لوطا (وهو نبى كريم) قد شرب الخمر وزنا بابنتيه وحملتا بالزنا منه.. وقد سبقه نوح فشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر ابنه حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، حتى يدخلا ويستراه (حام كان صغيرا) و(كنعان هو ابن حام ولم يكن قد ولد بعد - وهو أبو الفلسطينيين).. فلما استيقظ نوح من خمره لعن كنعان فقال: «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم. (تم لعن كنعان وهو لم يولد بعد، وكل خطأ أبيه (حام)، أنه أبصر عورة أبيه وأخبر أخويه الكبيرين حتى يدخلا ويستراه، ودخلا وستراه.

وإن داود (الذى يفاخر كتبة الأناجيل أن نسب المسيح يرجع إليه)، هو زان وقاتل وخسيس (وحاشا لله أن تكون هذه الأوصاف من عندنا ولكنها تنطبق وأكثر منها - على ما ورد فى حقه بسفر صموئيل الثانى، الإصحاح الحادى عشر)، حيث إنه [داود] زنا بامرأة أوريا الحثى - أحد قواد جيشه - أثناء وجود الأخير فى ميدان القتال من أجل ملك داود، وأن أوريا أنبل من داود، حيث إن داود لما علم بأن امرأة أوريا قد حبلت منه بالزنا - أرسل فى طلب أوريا من الميدان، وعند حضوره أمره داود أن يبيت فى بيته [بيت أوريا الحثى]، حتى يختلط أمر الحبل على أوريا، فأبى أوريا أن ينعم بالبيت وجنوده يقاسون فى ميدان القتال، وقضى ليلته خارج بيته. فأرسل داود خطابا إلى قائد جيوشه - يوآب - بيد أوريا أمره فيه بأن يضع أوريا فى وجه الحرب الشديدة حتى يقتل. فلما تم ذلك ضم داود امرأة أوريا إلى حريمه.. ومن ناحية أخرى فإن داود من سلالة زناة، ولا يدخل فى جماعة الرب، وذلك بحسب سفر التثنية ٢٣ / ٢: «لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب»، وداود هو الجيل التاسع لفارص، وذلك بحسب متى ١ / ٣-٦ ولوقا ٣ / ٣١-٣٣.. وفارص ابن زنا - حيث إن يهوذا زنا بثامار (كنته - امرأة ابنه) - وكان فارص هو الثمرة (سفر التكوين ٣٨ / ٢٧-٣٠).

هـارون صنع تمثالا - عجلا - وبنى له مـذبحا وعبده مع بنى إسرائيل. . . (هارون هذا رسمه الله نـبيا مع موسى). وأن سـليمان ارتد فى آخـر عمره وعبد الأصنام، ولم يؤثر عنه أنه تاب حتى آخر عمره. .

إبراهيم - أبو الأنبيـاء - كان على استعداد أن يـقدم امرأته لفرعون - حتى يناله من ورائهـا خير كثير -، وذلك كما ورد حـرفيا فى الكتاب المقدس. . وفعل نفس الـفعلة ابنه إسحق مع أبى مالك. . وأن فرعون وأبى مالك - الوثنيين - كانا أتقى من إبراهيم وإسحق. . سفر التكوين إصحاح ١٢ وإصحاح ٢٦.

وعن هذا الكتاب يقول «چيـمس هنرى بريستيد» فى كتابه «فجر الضمير» - ترجمة د. سليم حسن. . ما نصه:

«لقـد حفـظت فى طـفولتى مـثل إخوانى من الصـبية «الـوصايا الـعشر»، وعُـلِّمت أن أحترمـها لأنه أُكد لى أنـها أُنزِلت من السـموات على «موسى»، وأن اتـباعهـا كان من أجل ذلك لزامًـا علىّ، وإنى أذكر أنـنى كلمـا كذبت كنت أجد لنفسى سلوة فى أنه لا توجد وصية تقول: «يجب عليك ألا تكذب»، وإن الوصايا العشر لا تُحرم الكذب إلا فى شهـادة الزور فقط، أى عندما يؤدى الإنسان شهادة أمام المحاكم يمكن أن تضر بجاره، ولمـا اشتد ساعدى بدأت أشعر فى نفسى بشىء من الـقلق وأخذت أحس بـأن قانون الأخـلاق الذى لا يُحـرِم الكذب هـو قانون ناقص».

لا يتسع المقام هنـا لتوضيح ما فى كتاب هذا الدعى من جمال!!. . بحسب زعمه. . وفى هذا الكفاية الآن وقد يكون لنا عود بهذا الخصوص.

***

وهناك أيضًا بـعض الأمثلة الكاشفـة عن مكنون صدور كـثير من المسيحيين الغربيين تجاه الإسلام نذكر منها:

١ - من أوربـان الثانى إلى ديفـيد ولش. . . [أمريـكا تعـيد إنتـاج ذريعة «حمـاية مسيـحيى الشرق»!] نـشرت صحيـفة الأهرام المصـرية بتاريخ ١٨/ ٢/ ٢٠٠٨ بالصفحة السادسة ما ملخصه:

أ - فى عام ١٠٩٦ وقف بابا الفاتكيان «أوربان الثانى» مخاطبا الجماهير فى مدينة كلير مونت الفرنسية معلنا الحرب الصليبية ضد «المسلمين الأفظاظ» لحماية المقدسات المسيحية فى القدس وتحريرها من قبضتهم ولإنقاذ مسيحيى الشرق من منع المسلمين لهم من أداء مناسك الحج فى القدس!!.

ب - فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر بررت إنجلترا وفرنسا استعمارهما لدول عربية وإسلامية بحماية الأقليات والمسيحيين.

[كم هى كمية الكذب فى هذا الكلام من رأس الكنيسة، ومن أعظم دولتين فى العالم فى ذلك التاريخ!؟].

جـ - خلال زيارته إلى لبنان مؤخرا، وقف مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط «ديفيد ولش» على سلالم البطريركية الكاثوليكية فى بيروت معلنا باسم الرئيس جورج بوش ووزيرة الخارجية كوندليزا رايس، أن الولايات المتحدة الأمريكية تعلن دعمها القوى لأبناء الطائفة المسيحية فى لبنان، ودُوِّن ذلك فى سجل البطريركية، مضيفا أن بلاده تعتقد أنه آن الأوان لاستعادة كرامة أهم مركز مسيحى فى لبنان (الرئاسة).

وأضافت الصحيفة بأن ذلك يثبت أن ما قاله بوش عقب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ «أنها حرب صليبية جديدة» لم يكن مجرد زلة لسان.

٢ - «فيلدرز» حلقة من مسلسل الإساءة للإسلام... نشرت صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٠/٢/٢٠٠٨ تحت هذا العنوان ما يلى - ملخصا -:

هناك استعدادات يقوم بها ««جيرت فيلدرز» عضو البرلمان الهولندى عن حزب الحرية لبث فيلم أعده - مدته ١٠ دقائق يهاجم فيه الإسلام هجوما عنيفا

حادا ويتضمن مشاهد يـتم خلالها تمزيق وتدنيس المصحف الشريف. ويطالب فيه بمنع تداول المصـاحف فى هولندا مثل كتب الـزعيم النازى إدولف هتلر؛ لأنه (أى المصحف) - على حد قـوله - كتاب فاشى يـحث على ارتكاب أفعـال سيئة مثل القتل والاغتصاب. وأضافت الصحيفة، يـأتى هذا الموقف للنائب الهولندى متسقا مع مواقفه السابقة المناهضة للإسلام والتى وصلت لدرجة المطالبة بمنع إقامة المساجد فى الدول الأوروبيـة ووقف هجرة المـسلمين إلـيها، بل وحـذف أجزاء من القرآن بخلاف تـصريـحات أخرى أهـان فيـها الرسـول الكريم والمـقدسـات الإسلامية مستخدما ألفاظا **لا يليق تكرارها مرة أخرى.**

[يبين ذلك بأن كاتب الخبر والذى قام بـالتعليق عليه كاتب مسلم ترَبى تربية إسلامية، رفض حتى مجرد إعادة ما قاله الهولندى - الذى تربى تربية كاثوليكية - وذلك تقززا وتعففا.. وهو يبين الفرق بين التربيتين: الكاثوليكية والإسلامية].

٣ - وثالثة الأثافى، ما نشرته صحيفة الدستور المصرية بتاريخ ٥/ ٢/ ٢٠٠٨ بالصفحة الخامسة والذى جاء فيه:

إن مايكل سافدج (المذيع الأمـريكى المشهور والذى تـذاع برامجه على أكثر من ٣٥٠ محـطة إذاعة أمريكيـة) والذى اعتاد دائمـا على سب الإسلام والمسلمين والقرآن بألـفاظ نابية، قد شن هـجوما فجا على الإسلام وسـب المسلمين صراحة بأسلوب غير مسبـوق فى تاريخ الإعلام الأمريكى بعد أن طالبهم بوضع دينهم فى مـؤخراتـهم، وكان ذلك يـوم ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٧، على حسـب ما جاء بـصحـيفة الدستور.

[إلى هـذا المستوى من التدنى والانحدار يـصل أبناء هذه الحضارة المدعاة فى تناولهم لعقائد الآخرين، وهـذا مستمر من العصور الوسطى مرورا بدانتى وڤولتير وغيرهما وصولا إلى مايكل سافدج حديثا].

ولا يـستثـنـى من ذلك حتى رأس الكنـيسة بدءا بـأوربان الثانى - ١٠٩٦ - وصـولا إلى بندكت - بـابا الفـاتيكان الحـالى - الذى وصف الإسلام بأنه دين لا يحترم العقل، ولم يأت للعالم إلا بالشر...

ونحن، من جهتنا، نحترم أنبياء الله جميعا، ولا نقبل أن يقال عنهم مثل هذه الأقاويل.. وندعو مثل هذا المتعصب الأعمى، أن يقرأ ويفهم ويوقظ ضميره.

وهنا لا يسعنا إلا أن نقرر بأن، مساواة الناقص بالتام قد يكون من سوء التقدير، ولكن ترجيح الناقص على التام لا يكون إلا من سوء الضمير...

عموما أرجو أن يؤخذ هذا الكتاب على أنه محاولة للاهتداء إلى سبيل الحق. وأنه ليس بغرض تسفيه عقيدة - نكن لها ولصاحبها جليل الاحترام - وتسفيه عقائد الآخرين ليست خلقا إسلاميا، حيث أمر الإسلام أتباعه بالبر إلى كل البشر بصرف النظر عن معتقداتهم، إذ ورد:

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) ﴾ [الممتحنة]..

ولكن هذا الكتاب مقدم بالحرى إلى المسلمين، دفاعا عن عقيدتهم فى ظل حركة التنصير - أو الكثلكة -- التى لا يألو بعض نصارى الغرب جهدا فى نشرها، وفقا لمقررات آخر مجامعهم (فاتيكان ٢) الذى عقد فى الفترة من ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٥ م والتى تتلخص فى:

١ - تبرئة اليهود من دم المسيح.

٢ - اقتلاع اليسار من العالم فى عقد الثمانينيات.

٣ - اقتلاع الإسلام من العالم فى عقد التسعينيات.

٤ - توصيل الإنجيل إلى كافة البشر.

٥ - توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما.

كذلك فإن الحوار بين النصرانية والإسلام قديم.. فقد شهد التاريخ كثيرا من المساجلات بينهم.. وبقى الإسلام وبقيت النصرانية.. وكما أن التاريخ شهد أدعياء كذبة هاجموا كلا من الدينين - النصرانية والإسلام - إلا أنه - أى

التاريخ - شهد أيضا، وللأمانة، أنقياء يذهبون فى البحث العلمى إلى منتهاه مجردين من الهوى، وأن الحق هو شريعتهم. فقد حقق تاريخ ابن رشد علماء غربيون. ولم تمنع رتبة الأب روبير شدياق الكهنوتية - كاهن يسوعى - من تحقيق كتاب يفند عقيدته وهو كتاب **«الرد الجميل على ألوهية عيسى بصريح الإنجيل»** للإمام أبى حامد الغزالى - وهو كتاب قوى الحجة، وليس من الكتب المتهافتة. وذلك بتكليف من أستاذه المستشرق الفرنسى مانيسون، الذى كان يوصف بأنه أكثر المسيحيين إسلاما.. ويذكر للدكتور نظمى لوقا، الذى مات مؤكدا على مسيحيته - أنه تحرى كامل الأمانة العلمية فيما كتب عن الإسلام ورسول الإسلام، متحملا بذلك إساءات بعض الجهلة، من المسلمين والمسيحيين (على حد قوله فى آخر كتبه).

هذا، ويذكر للمسلمين - قديما وحديثا - أنهم لم يصدروا فى كتاباتهم عن المسيحية عن نزعة تستريب فى الدين أو تشكك فى عقائده، أو تتجاوز حدود آداب الحوار، كما كتب كثير من كتاب الغرب كتبا يطعنون فيها فى المسيحية (طعنا فى العقيدة نفسها)، إلى درجة أن بعضهم أنكر وجود المسيح تاريخيا، وأيضا لم يتبعوا آداب الحوار، حتى زعماء المذاهب، فقد أورد الشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندى فى كتابه «إظهار الحق» - ص ١٠-١١ [مقدمة الكتاب] - نقلا من الصفحة ٢٧٧ من المجلد التاسع من كاتلك هرلد - عن أن لوثر - مؤسس البروتستانتية - قال فى حق البابا: «احفظ نفسك يا حمارى من السقوط، احفظ نفسك يا حمارى البابا.... إنك أيها البابا حمار بل حمار أحمق وتبقى حمارا دائما».. ويقول لوثر فى موضع آخر: «إن البابا ومتعلقيه زمرة الأشرار المفسدين الخادعين الكاذبين وكنيف الأشرار الذى هو مملوء من أعظم الشياطين الجهنميين وهو مملوء بحيث يخرج من بصاقه ومخاطه الشيطان». وقد استنكر الشيخ هذا الأسلوب فى الحوار، وأعتقد جازما بأنه كان ينوب عن جميع المسلمين فى هذا الاستنكار، بالأساليب غير اللائقة عند تناول عقائد الآخرين....

وأود الإشـارة إلى أننى دونت بـعض التعـليـقات التـوضيـحية عـند بعض المـواضع، يستطيع أن يرجع إليها من اسـتشكلت لديه فكرة هذا الموضع، وحددت ذلك بوضع رقم بين قوسـين ( ) عندها - فى المتن - وقد وضعت هذه التعليقات مباشرة بعد هذه المقدمة، قبل المتن. ومن المستحسن، والمهم، قراءة هذه التعليقات عند أماكنها فى المتن - حتى تتم الفائدة ويسهل فهم النصوص.

وأود الإشارة أيضـا إلى أننى استعـملت فى تحليـلى للمـوضوعات [خاصةً موضوع - ادعاء - صلب المسيح]، طريقة التحليل الرياضى، الذى يستخلص عدة نتائج من عدة مواقع، وبـتجميعهـا نصل إلى النتيجـة النهائية المـطلوب إثباتها.. وأرجو أن أكون قد وفقت.

والله من وراء القصد.

مهندس: محمد أحمد الطاهر

تعليقات توضيحية

(١) يـقصد أبو حامد من عـبارته تلك بأن الآباء الأولين اخـترعوا عقائد لا تخضع لأى محاكمة عقلية، ولا تتفق مع أى نصوص واردة بكتبهم.. بل اعتسـفوا تفسيرات لهذه النصـوص ولووا أعناق الكلمات حتى تتفق مع ما يـريدونه من معان... وتأسيـسا على ذلك أطلق هؤلاء الأولون ظواهر (هكذا سمـاها أبو حامد ويقصد بها التفسيرات المعتسفة). وهذه الظواهـر التى أطلقها الأولـون وعرة المسالك لا يستـطيع قبولها إلا من عطل عقـله عن التفـكير... وكلـمة نصوص الـواردة فى قول الغزالى (معتذرين عن اعـتقادهم بما ورد من نصوص...) يـقصد بها نصوص الظواهر الـتى أطلقها الأولون وتمسك بها المتأخرون (الآخرون).. ولم يقصد بها نصوص العهد القديم والعهد الجديد.. حيث إن الظواهر التى أطلـقها الأولون ليس فـقط لا تتفق مع نصوص الـعهدين، بل تتصادم معهما فى كثير من الحالات كما سيتضح بعد.

ويضرب أبو حامد مـثالا للتخـريجات المعتـسفة، وتفسـيراتهم التى تصادم المعقول ولا تتفق مـع العقل ولا الفطرة ولا البداهة، ونجتزئ من كلامه - فى كتابه (الرد الجميل) ما معناه:

- إن أهم ما يعولون عليـه فـى إثبـات الألوهيـة والتجسـد للمسيـح هو مـا ورد بمقدمـة إنجيل يوحنا:

«١ فى البـدء كان الكلمة والكـلمة كان عند الله...... ١٤ والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده..» الإصحاح الأول.

وقد رجع أبو حـامد إلى أصل هذا الـنص فى اللغـة القبـطية - وهى أقدم ترجـمة موجـودة على الأرض (يعتـبرونها مـجازا أصلا، حيث إن أصـول كتبهم مفقودة) - فوجده:

«وه بيصاجى أفأر أو صـركس». وقال إن مفهوم هذه الـكلمات فى القبطى هى: «والكلمـة صنع جسدا وحل بيننا». لأن مفهوم (أفأر) فى القبطية يتردد بين - صنع وصار - وأن اللفظ المـشترك يتعـين حمله على أحد مـفهوماته بأيـسر قرينة مشعرة بأن المراد منه هذا المفهوم.

وحمل هذا الـلفظ على معـنى (صنع) هو مـا يتفق مع العـقل ولا يتصادم معه. لأن كل مرجح كان مصادما للمعقول رد غير معول عليه.

(٢) أهم ما فى هذا النص هو ثلاثة أمور:

أولها: أن عقاب آدم المقرر قبلا من الله فى حالة أكله من الشجرة المنهى عن الأكل مـنها هـو الموت - يـستوى فى ذلك أن يـكون الموت ماديا أم أدبيا -.

ثانيها: أن التجريم والإنذار بالعقاب شمل آدم فقط ولا أحد سواه.

ثالثـها: أن آدم قبل أكله من الـشجرة المنهـى عن الأكل منها، لم يكن يعرف الفرق بين الخيـر والشر. . بدليل ما جاء بسفر التكوين ٣/ ١-٧، كما سيرد بعد.

(٣) المتصفح لسفرى إرميا - ٦٢٧ ق م - إصحاح ٣١ / ٢٩، وسفر حزقيال ١٨ / ١-٢٩. . يلاحظ أن مسألة ميـراث الخطيئة (بمعنى أن يرث الأبناء أوزار وتـبعات أخـطاء آبائـهم) كانت شـائعة فى ذلك الـزمان فى بنى إسـرائيل. وقـد أثبت الـله ذلك وصحـحه فى الـسفرين المـذكورين. ودعـاهم إلى عدم العودة إلى ذلك الاعتقـاد. . (لا يقولون بعد، الآباء أكـلوا حصرمـا وأسنان الأبـناء ضرست. . بل كل واحـد يموت بذنبه) إرميا. . ، (مالـكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين. . الآبـاء أكلوا الحصرم وأسنان الأبـناء ضرست. . النفس التى تخطئ هى تموت). حزقيال. .

(٤) يلاحظ أن كل العقائد المسيحية الحالية قد تكونت عبر المجامع الكنسية على مر العصور، سواء كانت مجامع مسكونية (شاملة جميع كنائس الدنيا - المسكونة). أو كانت مجامع محلية (خاصة بمنطقة واحدة). . وقد كتبت الأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز فى كتابها (حرب صليبية بكل المقاييس)، نقلا عن كتاب - التواريخ الكبرى للمسيحية - الصادر عن دار نشر لاروس فى مجموعة إصدارات أساسية. . وموسوعة أونيفر ساليس الفرنسية طبعة ١٩٩٦ - وكتاب أسطورة يسوع - للإيطالى لويجى كاتشيولى -. وكتاب - قاموس اللاهوت - والقاموس التاريخى العام للبابوية. . . ونجتزئ من هذا الكتاب (للدكتورة زينب عبد العزيز)، ومن كتاب الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (محاضرات فى النصرانية)، مع بعض تعليقات لنا - ما يلى:

أ - عام ٤٨ م، وقد انعقد هذا الاجتماع فى مدينة أورشليم، وقد كان يعقوب - شقيق المسيح هو رئيس الكهنة آنذاك. وتم الاتفاق على حصر المحرمات على الأمم فى أربعة وهى: الزنا، وأكل المخنوق، والدم، وما ذبح للأوثان. . . وكان ذلك لأنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من كانوا يدعونهم إلى النصرانية، فيفرون من الدين بسببه. .وقد أحلوا لهم كل المحرمات فى التوراة - مثل الخمر والخنزير - فيما عدا الأربعة المذكورة أعلاه» انتهى.

تم ذلك على الرغم من قول المسيح:

* «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس بل لأكمله» متى ٥ / ١٧ .

* «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه. . ولكن بحسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» متى ٢٣ / ٢-٣.

وبالرغم مما ورد فى العهد القديم من تحريم نأخذ منها مثالا واحدا:

* «وقال الله لإبراهيم، وأما أنت فتحفظ عهدى. أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. . . . . فيكون عهدى فى لحمكم **عهدا أبديا**. . . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى» سفر التكوين ١٧ / ٩-١٤.

وإذا سألنا بأى حق أعطى هؤلاء لأنفسهم الحق فى التحليل والتحريم الذى يصل إلى إلغاء نصوص مقدسة؟. إن الآباء المتأخرين يعللون ذلك بأنه كان بإلهام من الروح القدس (وهذا ما لم يقله الأولون). . وأيضا الروح القدس فى النصرانية هو الله. وهذا يعنى بأن الله هو الذى أنزل التوراة التى حرم فيها ما أحله هؤلاء!!. . فكيف يقبل ذلك، وهو أن يرجع الله فى قرارات كان قد أرادها قبل ذلك أن تكون أبدية كما سبق توضيحه من سفر التكوين «فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا. . .». ونسأل أيضا، ألم يكن الله (الروح القدس بزعمهم) يعلم بأنه سوف يغير قراراته، وإلا فما معنى «عهدا أبديا» التى وردت قبلا فى سفر التكوين.

ب - عام ١٥٤ م: خلاف فى روما حول تحديد عيد الفصح، واستمر الخلاف حتى ١٩٠ م حينما طالب إيرينى، أسقف الكنيسة اليونانية، من البابا فيكتور الأول أن يحسم هذه القضية.

جـ - ٢٧٠ م: الإمبراطور أورليوس يحاول إعادة عبادة الشمس، وتاريخ دخولها فى المدار الشتوى فى ٢٥ ديسمبر. وهو الذى سيتحول إلى عيد ميلاد المسيح فيما بعد. وقد اعترف البابا يوحنا بولس الثانى بهذا التعديل!!!.

د - ٣٢٥ م: مجمع نيقية الأول (مجمع مسكونى) لإدانة وحرمان الأسقف آريوس، والذى كان ينكر ألوهية المسيح، ويقول بأن المسيح مخلوق لله وأنه حادث من مريم وليس قديما. وأن الآب وحده هو الله.. وقد حضر هذا المجمع ٢٠٤٨ أسقفا من جميع أنحاء العالم، لم يوافق على النتائج والقرارات التى اتخذها هذا المجمع سوى ٣١٨ أسقفا (وقد كان الأساقفة الحاضرون مختلفين فى تصورهم للمسيح والمسيحية - أكثر من ٦ اتجاهات -.

وإذا استعرضنا العقيدة التى قررها المجمع بالنسبة لماهية المسيح، وهى كما جاءت بالقرارات:

«إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تُحرِّم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودًا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء. أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الآب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول أنه قابل للتغير ويعتريه ظل دوران».

* وقد تم فى هذا المجمع تأسيس قانون الإيمان فى جزئه الأول:

«نؤمن **بإله** واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، **إلهٌ** حق من **إلهٍ** حق، مولود غير مخلوق. مساوٍ للآب فى الجوهر. الذى به كان كل شيء. الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا فى عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب. وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب. وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. الذى ليس لملكه انقضاء».

- لم يتكلم هذا المجمع عن الروح القدس.

هـ - ٣٨١ م: مجمع القسطنطينية الذى فرض تأليه الروح القدس وفرض عقيدة الثالوث. وقد أضاف هذا المجمع إلى قانون الإيمان - السابق وضعه فى مجمع نيقية - الفقرة التالية:

ونؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن الناطق فى الأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى».

* فى هذا المجمع يطعن صاحب كتاب سوسنة سليمان:

«قال الرهبان البندكيتيون أن المجمع الذى لم يتمكن من حضوره إلا مائة وخمسون أسقفا لا ينظم فى سلك المجامع المسكونية إلا بعد أن تقره جميع الكنائس».

ومما نقله ابن البطريق بنصه:

«قال ثيموثاوس بطريق الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئًا غير حياته. فإذا قلنا أن روح الله مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى، فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن». وبالنظر بقليل من التمعن إلى السلسلة الفكرية التى ساقها فى شكل دليل شرطى كثرت مقدماته وكثرت تالياته، سوف نجد أن الأساس الذى قامت عليه السلسلة وهى أنه جعل روح القدس هى روح الله. .لم يقدم عليه دليل!! ولم يقل من أين جاء بأن روح القدس هو روح الله. .ومن ثم فتصبح هذه السلسلة واستنتاجاتها باطلة حتى يقام الدليل على أساسها وهو أن - روح القدس هو روح الله -

* لا يوجد فى الكتاب المقدس بعهديه ما نصه بأن روح القدس هو روح الله.

- وهذه هى عادتهم بأن يستنتجوا نتائج تأسيسا على فروض يفترضونها دون بيان مصدرها. أو دون إقامة الدليل على صحتها. وهذا ما نلاحظه فى قرار مجمع نيقية ٣٢٥ م فيما يتعلق بالمسيح. والذى نحيل إليه منعا للتكرار..

و - ٤٣١ م: مجمع إفسس الأول والذى عقد لإدانة نسطور الذى قال فى المسيح - على ما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ما يلى:

«إن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها فى حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، وهو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا إدًّا». وقال أيضا عن الأقنوم، أن هناك أقنوما وطبيعة. فأقنوم الألوهية من الآب وتنسب إليه، وطبيعة الإنسان وقد ولدت من مريم، فمريم أم الإنسان، وليست أم إله».

* يبين من ذلك أن موضوع ألوهية المسيح لم تكن محل اتفاق حتى القرن الخامس الميلادى. بما مفاده بأنه لم تكن هناك نصوص قطعية بذلك...

وقرر الأساقفة الحضور فى هذا المجمع، وعددهم مائتا أسقف، كما جاء فى تاريخ ابن البطريق:

«إن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد فى الأقنوم»... كما لعنوا نسطور.

* الذى يهم هنا أن هذا المجمع قرر بأن المسيح معروف بطبيعتين.

* - كنيسة الإسكندرية برئاسة ديسقورس بطريرك الإسكندرية تعلن أن المسيح إله قد اتحد فيه اللاهوت بالناسوت وصارا طبيعة واحدة (إلغاء لقرار مجمع إفسس الذى أقر بطبيعتين للمسيح). لذلك كانت الدعوة لعقد مجمع خليكدونيه.

ز - ٥٤١ م: مجمع خليكدونيه الذى قرر كما قال ابن البطريق:

«قالوا بأن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية، ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية، وشهدوا بأن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد، ولعنوا نسطورس، ولعنوا ديسقورس ومن يقول بمقالته، ونفوه ولعنوا مجمع أفسس الثانى - برئاسة ديسقورس - وقد نفى ديسقورس إلى فلسطين».

- رفضت كنائس الشرق هذه الازدواجية. ولقد كان هذا المجمع هو السبب فى انفصال كنيسة الإسكندرية نهائيا عن الكنيسة الغربية.

ولقد لخص صاحب كتاب (تاريخ المسيحية فى مصر) عقيدة الكنيسة المصرية فقال:

«كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من كيرلس، وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس. وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة».

ح - ٥٥٣ م: مجمع القسطنطينية الثانى:

سبب انعقاده أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح، حتى أن بعضهم قال أن ليس هناك قيامة... وأن بعض الأساقفة زعموا أن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل كان خيالا، فكان هذا المجمع

الذى قرر الحاضرون حرمان هؤلاء الأساقفة واعتمدوا قرارات المجامع السابقة، ومنها قرار مجمع خليكدونية، وبذلك ثبتوا عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين، وأكدوا إنكار الطبيعة الواحدة التى اعتنقتها كنيسة مصر ومن والاها من المسيحيين.

ط - ٦٨٠ م: مجمع القسطنطينية الثالث:

والذى انعقد بسبب قول يوحنا مارون وله أتباع يسمون المارونيين.. وما زالت هذه الطائفة حتى اليوم.. وقد قال يوحنا مارون بأن المسيح ذو طبيعتين، ولكن ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد.

اجتمع لذلك هذا المجمع وكان من قراراته:

«لعن وتحريم وتكفير كل من يقول بالمشيئة الواحدة والطبيعة الواحدة».

ى - ٧٨٧ م: مجمع نيقية الثانى:

أصدر قرارا بتحريم اتخاذ الصور والتماثيل فى العبادة، وحرّم طلب الشفاعة من العذراء. وإن كان قد حكم بأن توضع الصور ليس فى الكنائس والأبنية المقدسة، والملابس الكهنوتية فقط، بل فى البيوت وعلى الجدران فى الطرقات.

ك - ٧٩٦ م: مجمع فريول يدين اليونان لعدم اعترافهم بأن الروح القدس ينبثق عن الآب وعن الابن ومساو لهما... وقد تم فى عام ٨٠٧ م فرض هذه العقيدة على الكنائس الشرقية.

ل - ٨٣١ م: فرض عقيدة أن المسيح يوجد فعلا وماديا فى المناولة..

م - ٨٦٩ م: مجمع القسطنطينية الرابع: (سمى بالمجمع الغربى اللاتينى).

«قرر إدانة ولعن فوسيوس، بطريرك القسطنطينية المعزول وحرمانه هو وأتباعه». والذى كان قبل ذلك قد أعلن بأن الروح القدس انبثق من الآب وحــده (حيث إنه وحتى ذلك الـتاريخ لم يكن أحــد يتعرض كيف كان انبثاق الروح القدس). . فانعقد مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩ م والذى قرر ضمن قراراته:

«انبثاق الروح القدس من الآب والابن».

- استطاع فـوسيوس أن يعود إلى منصـبه، فلما عاد إليه، كان أول شيء صنعـه هو أن عقد مجـمعا فى القسطنطينية سنة ٨٧٩ م سمى بالمجمع الشرقى اليونانى.

* وتوالت المجامع، وكما رأينا هى التى شـكلت العقيدة المسيحيـة فـى أدق أمورهـا، دونمـا الاعتـماد على نصوص قطـعية محكـمة ملزمة لا يمكن الاختلاف عليها أو تأويلها. وهو من ألزم لوازم العقيدة. . إذ إنه لا يقبل فى العقيدة أن يقال عنهـا أنها فوق مستوى البشـر. . حيث ينشأ حينئذ سؤال بدهى، لمن أرسـلت هذه العقـائد، ما دام لا يمكن الـوصول إليها بـالعقل، ولا يسـاندها نص محـكم يقينى قطـعى!؟. وكيف يطلب من إنـسان أن يؤمن بعـقيدة لا يسـتطيـع فهـمهـا وفـوق مـستوى فكره؟. . وأيضا ما دامت فوق مستوى العـقل البشرى، فلا يقبل أن ينتجها ويقول بهـا من هو فى مستوى البـشر (لأن نفى إنتاجـها والقول بها أوجب من نفى فهمـها)، بمعنى أنه كان يجب أن تـصدر من مصدر إلهى، وهو لم يثبت لهم.

من ناحية أخرى. .عن أن كتبة الأسفـار المقدسة كانوا يكتبون وهم مسوقون من الروح القدس. فهذا القـول لم يقل به حتى كتبة الأناجيل أنفسهم، ولم يدعيه أحد منهم لنفسه، ويمكن ملاحظة ذلك من قراءة مقدمة إنجيل لوقا التى يقول فيها:

«إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البداية معـاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتـب إليـك أيها العزيز ثاوفيـلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به»..

يقرر لوقا فى هذه الفقرة:

١ - تم تأليف قصص كثيرة (أناجيل) فى هذه الأمور.

٢ - ألف هو أيضا.. بالاستعانة بما سـلمه إليه الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة.

٣ - كتب لـوقا ما كـتب كرسالـة لصديق له يـدعى ثاوفيـلس، ولم يكتبه للتبشير به بين جموع، ولم يوص ثاوفيلس بذلك.

لا يوجـد فى النص ما يـفيد بأنه يـكتب بوحى من الـروح القدس.. فأين سياقة الروح القدس للوقا فيما كتب؟

كذلـك...

أ - لم يحـدد لوقا مـن هم الذين سلـموه ما كـتب حتى نـقف على مدى صدقهم.. وكيف يمكن الأخـذ بشهادة مجهولين؟

ب - من المـعروف أن لوقـا لم يكن من تلاميـذ المسيح.. فـكيف تتبع كل شيء من الأول بتدقيق؟.

جـ - تلاميـذ المسيح الأحد عـشر - والذين يحـتمل أن لوقا قـابلهم وأخذ عنهم - لـم يطـيعـوا ولـم يستطـيعوا أن يسهـروا مع المسيح فى بستان جشيمانى - قبل القبض عليه - بالرغم من طلبه

«امكثوا ههنـا واسهروا معى... ثم جاء إلى التلامـيذ فوجدهم نياما. فقال لبطرس، أهكذا مـا قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة. .اسهروا

وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة. ثم جاء فوجدهم أيضا نياما» متى ٢٦ / ٣٨-٤٣.

د - هؤلاء التلاميذ تركوا المسيح وهربوا فى أحرج فتراته - القبض عليه فى جشيمانى ثم محاكماته الثلاثة، ثم تعليقه على الصليب، ثم قيامته وخروجه من القبر -.

هـ - التلميذ بطرس (الذى تعتبره الكنيسة الكاثوليكية رئيس الحواريين وممثل ونائب المسيح) بطرس هذا أنكر حتى مجرد معرفته بالمسيح ثلاث مرات أثناء المحاكمة. . متى ٢٦/ ٦٩ - ٧٥. فى حين أن المسيح يقول حسب متى ١٠ / ٣٢-٣٣:

«كل من يعترف بى قدام الناس أعترف به أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات».

- هؤلاء التلاميذ كانوا غير كاملى الإيمان كما وصفهم المسيح:

«أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون، فوبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم» مرقس ١٦ / ١٤.

يستفاد من ذلك أن خاصة المسيح لم يتتبعوا أحرج فترة فى حياة المسيح، القبض عليه ومحاكمته ووضعه فى القبر وقيامته - بزعمهم -. وخاصة أن أحداث هذه الفترة تمثل عصب المسيحية حسب بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم».

٤ - لقد أجهد علماء المسيحية أنفسهم فى معرفة شخصية ثاوفيلس (الصديق العزيز للوقا) ولكن لم يهتدوا إليه. . وبناء على ذلك فلم يعرف - يقينا - أحد من المسيحيين الأوائل كيف ظهر إنجيل لوقا.

* بمراعاة ما جاء قبله، بخصوص هذا الإنجيل، لا يُقبل القول بأنه كتب بوحى أو بسياقة من الروح القدس. ما دام كاتبهُ لم يقرر ذلك.

* من ناحية أخرى.. فقد كذّب بعض علماء اللاهوت المسيحيين الحاليين بعضا مما ورد بالأناجيل.. كمثال:

يقول متى فى إنجيله: «فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت. والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين.. وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع، فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جدا وقالوا حقا كان هذا ابن الله» متى ٢٧ / ٥٠-٥٦.

ولقد جزم العلامة المسيحى نورتن بعدم حدوث هذه الحكاية وقال فى ذلك:

«هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة فى اليهود بعد خراب أورشليم، فلعل أحدًا كتب هذه الحكاية فى هامش النسخة العبرانية وأدخلها الكتاب فى المتن، وهذا المتن فى يد المترجم فترجمها كما وجدها». محاضرات فى النصرانية صفحة ٩٠.

وقد يكون ما رواه نورتن صحيحا وقد يكون خلاف ذلك.. ولكن لو استعرضنا معه ما قرره القديس أغسطينوس فى رسالته التاسعة عشرة لإرنيموس حيث قال:

«إننى قد تعلمت أن أسدى الورع والاحترام لتلك الكتب التى تسمى قانونية. حتى أنى أؤمن مصدقا أن الذين كتبوها لم يغشوا فى شيء مما كتبوه. وأما إن كنت ألاحظ أن فى تلك الكتب موجود شيء يظنونه مناقضا فإنى لن أرى شيئا آخر فى ذلك سوى أنه قد يكون وقع سهو من الناسخ، أو أن المترجم

لم يفهم ما قد قيل. أو أنني أنا لم أفهم ذلك». كتاب علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. . للعلامة المتنيح القمص ميخائيل مينا - مدير كلية اللاهوت بحلوان. .

ولو حسبنا قدر القديس أغسطينوس فى المسيحية، وقدر الكتاب الذى أورد هذه العبارات. . . وأن الكتاب حائز على رضا البابا - فى حينه - ومباركته. . لأدركنا صحة ما ذكره نورتن.

كذلك فإن العقل يقضى بأن لو كانت هذه الواقعة قد حدثت كما حكاها متى ٢٧ / ٥٠-٥٦ فإنها كانت كفيلة بدخول أعداد كثيرة للمسيحية، وهذا ما لم يحدث، فإن تلاميذ المسيح - كما وردت فى سفر أعمال الرسل، هم هم كما ذكرهم متى فى إنجيله (١٠ / ٢-٤ باستثناء يهوذا) كذلك فإن كتب التاريخ جاءت خالية من ذكر هذه الواقعة، وخاصة أن المؤرخين اليهود كانوا موجودين، وأن حدثا مثل ذلك لو حدث لكان له دوىٌّ هائل. .

أيضا فإن متى انفرد بإيراد هذه الحادثة مع أهميتها القصوى فى تثبيت العقيدة (لم يذكر مرقس أو لوقا أو يوحنا شيئا عن هذه الواقعة).

* * *

الأهم هو أن الآباء الأولين والمؤرخين المسيحيين لم يتفقوا على وجه التحديد واليقين - فيما يخص الأناجيل - على:

- تحديد شخوص الذين كتبوا الأناجيل الموجودة حاليا. ولا تواريخ تدوينها. .

- تحديد اللغة أو اللغات التى كتبت بها الأناجيل. . وكم مرة نسخت - باليد قبل اختراع المطبعة فى القرن الخامس عشر - وأسماء النساخ وسيرتهم. . وكم مرة ترجمت وأسماء المترجمين وسيرتهم. حتى يمكن التأكد من نزاهتهم ومدى معرفتهم اللغات التى ترجموا منها واليها. .

كـذلك فإن أهم من ذلك، أن النسخ الأصلية للكـتب المقدسة للنصارى غير مـوجـودة حتـى يمكن الرجوع إليها، وأن النسخ الـتى تم اعتمادها فى مجمع نيقية (٣٢٥م)، غيـر موجـود أصول لها. وأن أقـدم الكتب الموجودة قد تم نسخها أكثر من مـرة، وترجمتهـا أكثر مـن مـرة أيضـا. . ومع احتمالات الخطـأ فى كل عملية نـسخ أو ترجمة (كـما قال القـديس أوغسطيـنـوس) فإن تراكم الأخـطاء سيكون كبيرا. . .

(يذكر أن أقدم نسخة - ترجمة - موجودة للكتاب المقدس على وجه الأرض ترجع إلى عام ٨٥٠ م ولا يعرف أحد نسخة كاملة أقدم منها - باللغة العبرية).

وعليه فإنه حـسب العلـماء والمؤرخين المـسيحيـين بأن هذه الكـتب المسماة قـانونيـة غيـر موثـقة ومقطوعة السـند وغير قطعيـة وتلاحقها الاحتمالات فى كل قضية من قضاياها. . وكمـا يقول علماء الكلام والشرع «إن ما تطرق إليه الاحتمال لا يصح به الاستدلال».

ونقرر أننا لن نـستطيع أن نـوفى هذا الموضوع حقه فى كـفاية، ونحيل إلى كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندى من صفحة ١٧٧-٢٢١ - الجزء الأول ففيه المزيد لمن أراد الاستزادة.

(٥) بناء عـلى هذه النصـوص، يبين لنـا أن السيـد المسيح ما جـاء لينقض الناموس أو الكتب أو الأنبياء ولكن ليكملها - أو يحققها وفقا للترجمة الإنجلـيزية المعتمدة لـلكتاب المقدس - نسـخة الملك جيمس - نقول إن المتوقع بناء على هذه النصوص أن يقوم المسيح بأحد أمرين:

أ - أن يقوم بإضافة ما يراه لازما لهذه النصوص.

ب - أن يسكت عن هذه النصوص لكفايتها. .

وقد قرر المسيح الأمـر الثانى لاعتقاده أنـها كافية لتـقرير المراد من نفى مبدأ وراثة الخطيئة. . إذ إن الأناجيل تخلو من أى إشارة إلى خلاف ذلك.

(٦) هذه الخطيئة صدرت من بنى إسرائيل فى حق الله غير المحدود.. ولم تكن فقط:

أ - عصيان أمر بسيط (الأكل من شجرة نُهى عن الأكل منها) من مخلوق لا يعرف الخير والشر.

ب - خطأ صادر من مخلوق لا يقصد ذلك ولم يسع إليه.. حيث إن آدم لم يسع إلى الأكل من الشجرة ولكن امرأته هى التى قدمت له الثمرة - بنص الكتاب المقدس -.

جـ - خطأ من شخص لم تصله رسالات من الله، وإنما خطأ من قوم يعرفون الخير والشر.. وكانت تعليمات إلهية ورسالات ورسل قد أرسلت لهم بتعليمات مبينة من الله.. أى أن خطأهم كان مقصودا.

(٧) موضوع التثليث فى المسيحية من ضمن العقائد المعقدة العسيرة على الفهم، بل - وكما يقررون - مستحيل فهمها. فهى حسب تعبير الآباء الأولين، فوق إدراك العقل.. والحقيقة أنها ليست فقط فوق إدراك العقل، ولكنها أيضا تصطدم بالعقل وبالبداهة.. فلا تعرف حين تتكلم عن الله - بالمفهوم النصرانى - هل تتكلم عن واحد أم ثلاثة.. وكيف يصير الثلاثة واحد؟ وأين كان الآب والروح القدس عندما كان المسيح على الأرض، أو فى رحم مريم لمدة تسعة أشهر؟.. وبحسب نهاية إنجيل مرقس...

«.. ثم إن الرب (المسيح) بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله».. ونسأل، من جلس عن يمين من؟. هل جلس الابن عن يمين الله (الآب)؟. أم جلس عن يمين الله (الروح القدس)؟ وأسئلة كثيرة غير هذه الأسئلة لن يجيبوا عنها سوى بجواب واحد.. أشياء فوق إدراك العقل، ويستحيل

فهمها. . ويبرز هنا سؤال مصيرى. كيف يطلب منى الإيمان بأشياء لا أفهمها، وفوق إدراك العقل؟. يقولون وردت فى الكتب. فى نفس الوقت يسلمون بأن كتبهم فيها تناقضات (بمعنى أنها غير يقينية) - كما يقول القديس أغسطينوس.

ونود أن نوضح بأن التثليث لا يوجد لا فى العهد القديم ولا فى العهد الجديد وإنما تم تأسيسه فى مجمعى نيقية والقسطنطينية (٣٢٥ م، ٣٨١ م) كما سبق بيانه. أى أن التثليث هو من وضع الآباء الأوائل فى المجامع.

حتى الموجود فى الكتب عن هذا الموضوع - التثليث - بالرغم من أنه لا يفهم كذلك إلا بالتفسيرات المعتسفة، إلا أنها نصوص إلحاقية، ألحقت بالكتب فى عهود متأخرة. وليس أدل على ذلك من أنه لو كانت هذه النصوص موجودة بالأناجيل قبل عقد مجمعى نيقية والقسطنطينية، لما كان هناك داع لعقد المجمعين. ولظهر قانون الإيمان كاملا فى مجمع نيقية. . .(نص قانون الإيمان سبق توضيحه).

(٨) لم يقل لنا جناب القمص ميخائيل من أين أتى العلامة القس أبو الفرج بالفرض الذى أتى به وهو أن المسيح عندما قال مقالته «ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» وهو يناجى ربه، كان يتكلم نيابة عن الخليقة نفسها. . إذ لا يوجد ما يؤيد هذا الفرض. . ولو كان المقصود ما ذهبوا إليه، لوجب أن ترد العبارة على النحو «ليس كما نريد نحن بل كما تريد أنت». أما عبارة «ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» لا يوجد فيها أدنى شبهة لحملها على غير ظاهرها وهو أن هناك إرادتين، إحداهما لله (الآب) والأخرى للمسيح المخلوق. إذ لا توجد علة صارفة تدعو لصرف اللفظ على غير ظاهره.

كذلك يتضح من كلام جناب القمص، بأنهم فى شروحهم يجتزئون من الكلام ما يمكن - مع بعض التعسف فى التفسير - أن يقرب من مرادهم. . ولا يكملون النصوص لو كانت كاشفة وتلغى ما قالوه. . فهو هنا قد اجتزأ من

الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا العدد ١١. وأهمل الأعداد ٢٠ وكذلك العدد ٢٨ من نفس السفر كما سبق بيانه.

(٩) لا يمكن حساب صدور هذا الخطأ إلا من أربعة مصادر:

أ - خطأ من الناسخ.

ب -أو خطأ من المترجم.

جـ - أو خطأ من الكاتب الأصلى وهو متى.

د - أو خطأ من الروح القدس الذى ساق الكتبة حال كتابتهم (بزعمهم).

ولنرى ما يترتب على كل واحد من هذه الاحتمالات:

- الناسخ الذى لا يعرف كيف يفرق بين كلمتى زكريا وأرميا لا يوثق فى أى من كتاباته.

- المترجم الذى يخلط بين كلمتى زكريا وأرميا، لا يوثق أيضا فى أى من ترجماته.

- عندما يخطئ الكاتب (متى) بحيث لا يفرق بين ما ورد فى جميع أسفار الكتب والأنبياء وهو كتاب عقيده.. هل يمكن الوثوق فى كتاباته؟.

- أما عن الروح القدس فهذا أمر مرفوض بالبداهة أنه يخطئ.

لا يبقى سوى أن هذه الكتب غير إلهامية...

هذه واحدة.. والثانية:

يقول التفسير التطبيقى للكتاب المقدس عن هذا الاختلاف، أن هذه العبارة يحتمل أنها قد أخذت من أرميا ١٧ / ٢-٣، ١٨ / ١-٤، ١٩ / ١-١١، أو ٣٢/ ٦-١٥.. نعتقد بأن هذا القول يقال حتى يرفع عن متى والناسخ والمترجم تهمة

الخطأ. ولكن عند مراجعة هذه الفقرات المشار إليها نجد أنه لا توجد أدنى علاقة بين الأعداد المذكورة وموضوع النبوءة..

ومن أراد الاستزادة فليراجع هذه الأعداد ويطابقها مع ما ورد فى متى..

كذلك حتى الذى ورد فى زكريا، يتكلم فيه زكريا عن ثمن كريم لنبى كريم. فى حين أن ما أراد متى بيانه هو عن ثمن خيانة..

ففى زكريا «قال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب» زكريا ١١/ ١٣.. بينما فى الثانية (متى) ثمن خيانة، فقد رفض اليهود إلقاءها فى الخزانة (بيت الرب) لأنها ثمن دم (متى ٢٧ / ٦-١٠) حيث إن سفر التثنية ٢٣ / ١٧ يحرم إلقاء المال النجس فى بيت الرب.. «لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما لأن كليهما رجس لدى الرب إلهك».

* ما ورد فى سفر زكريا ١١ / ١٢-١٣ «فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فأعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا. فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب».

(١٠) إلى هذا المدى يذهبون.. فهم مصدقون لكتبهم حتى لو كانت:

أ - مقطوعة السند وغير قطعية الثبوت لكُتَّابها.

ب - تحوى متناقضات - اعترفوا بها - وعزوها إلى احتمال خطأ من الناسخ أو خطأ من المترجم.. ولنتصور:

نص معين، نسخه أكثر من ناسخ (ناسخ عن ناسخ عن ناسخ). ثم ترجمه أكثر من مترجم (مترجم عن مترجم عن مترجم). حتى وصل إلينا... ومع احتمال الخطأ - كما أقر كبراؤهم - فى كل خطوة (خاصة مع عدم تحديد شخوص النساخ أو

المترجميـــن ولا تواريخ النسخ والترجمة على وجه اليقين حتى يمكن التأكد من مدى نـزاهتهم وتمكنهم فى الأعـمال التى يقومون بها - حيـث إن اختلافهـم فـى ذلـك كبيـر -...

نقول مع كل مـا سبق، فكم تـكون نسـبة الخطـأ فى النسخ الموجودة بين أيدينا..

جـ - عدم وجود أصل لهـذه الكتب حتى يمكن الرجـوع إليه لتصحيح أى أخطاء تكون قد حدثت حيث إنه حتى الأصول التى اعتمدت فى مجمع نيقية (٣٢٥م) غير موجودة.. وأن أقدم نسخة كاملة للكتـاب المقــدس - باللـغـة العبـريـة يرجـع تاريـخهـا إلـى الـقـرن التاسع الميلادى (فأين كـانت كتبهم، وما الذى حـدث فيها خلال ما يقرب من تسعـمائـة سنة، لايعرف أحد، وحـتى المخطوطـات الـتى يعثـر عليهـا فـى الكهـوف بيـن الفينة والفينة لا تتفق نصوصها مع الكتب الحالية، وكمثال لذلك مخطوطات قُمران التى عُثر عليها فى كهوف الأردن [فى أواخـر أربعـينـيـات القـرن العـشرين، ولم يـعلن عن محتوياتها إلا فى آخر تـسعينيات القـرن - أى بعـد خمسين سنـة]، لا تحـوى أى مخطوطة منها شيئا عن العهد الجديد وكل مخطوطات العهد القـديم التى عثر عليـها لا تتفق - بنسـبة كبيرة - مع الكتب الحالية [أكـبر نسبة اتـفاق بين المخطـوطات المكتشـفة (قُمران) وبين النصوص الحالية كانت بالنسبة لسفر أشعيا ولم تتعد النسبة ٣٠٪].

(١١) نص إنجيل متى ٢٨ / ١٦ هو:

«وأمـا الأحد عشر تلمـيذا فانطلقـوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع».

ونص إنجيل متى ٢٧ / ٥٩-٦١ هو:

«فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى. ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة، ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى. وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر».

(١٢) حيث يقرر لوقا أن المسيح أراهم يديه ورجليه.. فإن يوحنا يقرر بأنه أراهم (أرى توما - بحضور التلاميذ) يديه وجنبه. إذ يقرر يوحنا فى إنجيله ٢٠ / ٢٧:

«ثم قال لتوما هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى..».

وكما أوردنا سابقا من ضرورة التعامل مع كتب العقائد من منطلق حسن النية، فإننا نستطيع أن نقرر بأن هذه الواقعة حدثت مرتين، مرة رواها لوقا ومرة أخرى رواها يوحنا.. حيث فى الأولى أراهم يديه ورجليه، بينما فى الثانية أراهم يديه وجنبه.

(١٣) بخصوص هذه النقطة فإننا سوف نذكر ما ورد بالإنجيلين:

- متى ١ / ١-١٧:

«كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون. وحصرون ولد أرام. وأرام ولد عمينا داب. وعمينا داب ولد نحشون. ونحشون ولد سلمون. وسلمون ولد بوعز من راحاب. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسى. ويسى ولد داود الملك. وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا. وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا. وابيا ولد آسا. وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام. ويورام

ولـد عزيا. وعزيا ولد يوثـام. ويـوثـام ولـد أحاز. وأحاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى. ومنسى ولد آمون. وآمون ولـد يوشيـا ويوشيا ولد يـكنيا وإخوته عـند سبى بابل. وبـعد سبى بابل يـكنيا ولـد شالتئيل. وشالـتئيل ولد زربـابل. وزربابل ولد أبـيهود. وأبـيهود ولـد ألياقيم. والياقـيم ولد عـازور. وعازور ولـد صادوق. وصـادوق ولد أخيم. وأخيم ولد أليود. وألـيود ولـد أليعـازر. وأليـعـازر ولـد متان. ومتان ولد يعقوب. ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح».

من هذه السلسلة نستطيع أن نقرر ونعلق بالآتى:

أ - أن الـنسب انتهى إلى يـوسف النجار (خـطيب مريم). وليس مريم ولا المسيح.

ب - أن هذه السلسلة بحسب العهد القديم - الذى يجمع الناموس والكتب والأنبـيـاء والذى يقرر المسيح أنه ما جاء لينقضه - لا تدخل فى جماعة الرب - حيث إن داود هو البـطن التاسع من فارص - وفارص ابن زنا (حيث إن يـهوذا زنا مع ثامار (كنته). وكان فارص هو الثمرة. (حسب مـا ورد بسفـر التكويـن ٣٨ / ٢٧-٣٠).. وقد ورد فى سفر التثنية ٢٣ /٢ : «ومن كـان ولد زانيــة لا يدخل جمـاعة الرب حـتى يمضى عليه عشرة أجيال».

وداود أيضا زنى وخان وقتل، كما فى سفر صموئيل الثانى ١١/ ٢ -٢٦.

(هذه الأفعال نبـرئ داود منها - وهو نبى كريم - ولا نجرؤ على القول بهـا ولا نوافق من يقـول بها ولكنها موجـودة بتفصيل فى العهد القديم فى الموقـع المحدد قبلا).

- لوقا ٣ / ٢٣-٣٨:

«ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كُان يظن ابن يوسف ابن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاى بن مآث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسابن بن زربابل بن شالتئيل بن نيرى بن ملكى بن أدى بن قصم بن ألمودام بن عير بن يوسى بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود ابن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور ابن سروج بن رعو بن فالجَ بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله».

يمكن بعد استعراض السلسلة التى ذكرها لوقا أن نقول:

- أن لوقا ابتدأ بيوسف النجار وذكر نسبه ولم يذكر نسب مريم.

- ما قيل بشأن داود قبلا يقال هنا أيضا.

لما تقدم فإننا نستطيع أن نقرر وبضمير راض أن جناب القمص قد جانبه الصواب فى رده للأسباب الآتية:

١ - أن كلا من الإنجيلين ذكر نسب يوسف ولم يذكر أيا منهما نسب مريم. كما قال جناب القمص.

٢ - لم يقل جناب القمص شيئا عن:

أ - الخمسة عشر جيلا الناقصة فى إنجيل متى عن مثيلتها فى إنجيل لوقا.

ب - التناقض بين الإنجيلين فى عدم تشابه أسماء السلسلتين. وأيضا مثال صارخ وواضح وهو أن يوسف تناسل من داود عن طريق سليمان (كما فى متى). بينما فى لوقا تناسل عن طريق ناثان!!.

جـ - أيضا هناك تناقض حتى بين الإنجيلين فى نسب داود وبين سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الثالث فكيف يكون ذلك والثلاثة (متى ولوقا وصاحب سفر أخبار الأيام الأول) يتحدثون عن داود واحد؟!!. وحيث لا يتسع المقام لذكر ذلك، فمن أراد التوسع فليرجع للكتاب المقدس.

د - يقول متى فى سلسلته «يوسف بن يعقوب بن متان بن أليعازر بن..» بينما.. يقول لوقا فى سلسلته «يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن..». فكيف يكون ذلك وهما يتحدثان عن يوسف واحد وهو يوسف النجار خطيب مريم وليس اثنين (يوسف) مختلفين؟!!

و - وصل متى فى سلسلته من يوسف النجار إلى داود بعد ٢٦ جيلا، بينما لوقا وصل نفس الفترة فى ٤١ جيلا. (قد يقول قائل بأن متى اختصر بعض الأجيال، كما نقول «المسيح بن داود - ونهمل الأجيال بين المسيح وداود -.. وهذا قد يُقبل. ولكن ذلك سوف يؤدى إلى الاعتراف بأن كلا من متى ولوقا كان يكتب كما يرى. وأن ليس ثمة وحى.

وينطبق نفس القول على صاحب سفر أخبار الأيام الأول.

أيضا نلاحظ الآتى:

* السلسلة فى كل من الإنجيلين وصلت من داود إلى إبراهيم متماثلة مع الأخرى.

(١٤) كمثال آخر للتفسيرات التى يقدمها جناب القمص فى كتابه (علم اللاهوت) المثال الآتى:

«أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب». مرقس ١٣ / ٣٢.

يقول جناب القمص فى رده على هذا القول للمسيح:

«لا يخفى أن الآب والابن والروح القدس متساوون فى العلم والحكمة، وما يعلمه أحدهم يعلمه الآخر أيضا. وحيث إن الآب يعرف ذلك اليوم، فإذًا يعرفه الابن بالبداهة. لأنه قال: «كل ما للآب هو لى» يوحنا ١٦ / ١٥ وقال: أنا والآب واحد (يوحنا ١٠ / ٣٠). فكيف يكون ما للآب والابن واحد بالجوهر إذا كان لا يمتلك معرفة الآب وعلمه»؟ هذا فضلا عن أنه قيل له: يعلم كل شىء (يوحنا ٢١ / ١٧). وأوضح، أن فى هذه العبارة حد الاعتراف له بالألوهية الكاملة، لأن إحاطة العلم بكل شىء لا تكون إلا لله وحده.. ثم زاد على ذلك بأن عرف كل ما يحدث فى هذا اليوم ووصفه وصفا دقيقا، يؤخذ منه أن ذلك اليوم مكشوف وظاهر أمام عينيه (انظر متى ٢٤ / ٢٩-٣٢).

إذًا ينتج مما سبق أن المسيح له المجد يعلم ذلك اليوم حق العلم «انتهى كلام جناب القمص».

***

وللرد على كلام جناب القمص سوف نحتاج إلى تفنيد كل عبارة وردت فيه فنقول:

- يقول الرد فى أول عبارة بأن الآب والابن والروح القدس متساوون فى العلم والحكمة.. وهذا الفرض ينفيه النص - النص لا يساوى بين علم الابن وعلم الآب - فكيف يأخذ القمص هذا الفرض كأساس يؤسس عليه.. إنه بذلك أخذ المطلوب إثباته كأنه من المسلمات!! فضلا عن أن هذا الفرض لم يرد بأى نص مقدس قطعى الثبوت.

- أما عن استشهاده بما ورد في يوحنا ١٦ / ١٥ (كل ما للآب فهو لي) ويوحنا ١٠ / ٣٠ (أنا والآب واحد). . . . عن النص الأول (يوحنا ١٦ /١٥) فهو يتكلم هنا عن الشريعة والأحكام فهذه كلها يأخذها المسيح عن الله. . وهذا متوفر لكل الرسل والأنبياء وليس فقط للمسيح. أى أنه لاتوجد أي ميزة - يمتازها المسيح عن باقي الرسل والأنبياء في ذلك. وفي ذلك يقول المسيح «والآن علِموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك. لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم» يوحنا ١٧ / ٧-٨. ويقول أيضا: «الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني» يوحنا ١٤ / ٢٤، فأي خلاف بين هذه النصوص (يوحنا ١٧ / ٧-٨ ويوحنا ١٤ / ٢٤)، وبين يوحنا ١٦ / ١٥؟.

وعن النص الثاني (١٠ / ٣٠) من المستحسن أن نذكره مع ما قبله حتى تتضح الصورة أكثر:

«أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد» يوحنا ١٠ / ٢٩-٣٠.

ذلك أن ذكر العدد ١٠ / ٣٠ فقط هو اجتزاء مخل. أيضا فقد ورد بعد ذلك مباشرة:

يوحنا (١٠ / ٣١-٣٧): «فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني. أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها. أجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن يُنقض المكتوب. فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله» يوحنا ١٠ / ٣١-٣٧.

ومن ذلك يتضح - ويتصريح المسيح نفسه - أن قوله عن نفسه، أنه ابن الله، لا يعنى أكثر مما كان فى الناموس، حيث إنه قيل آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. . . . . . .

(ورد فى سفر الخروج ٧ / ١ «فقال الرب لموسى: انظر. أنا جعلتك إلها لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك»).

أيضا يقول المسيح فى موضع آخر (يوحنا ١٧ / ٢٠-٢٣). . «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم. ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد».

يتضح من النصوص السابقة أنه لا خصوصية للمسيح فى أنه واحد فى الآب. فالجميع سوف يكونون واحدا فى الآب وفى المسيح بإيمانهم بالله. . ولا تعلق للقمص بهذه النصوص.

أيضا لا تعلق بنص يوحنا ٢١ / ١٧ (أنت تعلم كل شىء) حيث إن هذه العبارة قالها سمعان بطرس الذى أنكر المسيح ثلاث مرات فى أحرج الأوقات، ولم يقلها الله. كذلك فإن سمعان قال هذه العبار للتدليل على أنه يحب المسيح، وأن المسيح يعلم ذلك. والنص ينطق بذلك:

«فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء. قال له نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك. قال له ارع خرافى. قال له أيضا ثانية يا سمعان بن يونا أتحبنى. قال له: نعم يا رب أنت تعلم أنى أحبك. قال له ارع غنمى. قال له ثالثة ياسمعان بن يونا أتحبنى. فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبنى فقال له يارب أنت تعلم كل شىء. أنت تعرف أنى أحبك». . يبين من هذا النص أن سمعان عندما قال هذه العبار لم يكن يقصد سوى التأكيد على حبه

للمسيح والتأكيد على أن المسيح يعلم ذلك. . . أيضا هذا القول قاله بطرس الذى كذب ثلاث مرات قبلا عند محاكمة المسيح فأنكر معرفته بالمسيح عندما سئل عن معرفته به. بدار رئيس الكهنة (يوحنا ١٨ / ١٧)، (يوحنا ١٨ / ٢٥)، (يوحنا ١٨ /٢٧). وذلك بعد القبض على المسيح ببستان جشيمانى. . . .

إلى هذا الحد يتم اجتزاء النصوص، وتخريجها (بما لا يتفق مع الأمانة العلمية) حتى تتفق مع ما يريدون. .

* ويجب أن نستعرض ما جاء بمتى (٢٤ / ٢٩-٣٤) وليس متى(٢٤/ ٢٩-٣٢) فقط حتى تتضح الصورة كاملة.

متى (٢٤ / ٢٩-٣٤):

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كبير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه. من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها. فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله».

نقول إن وصف يوم الدينونة. . قد يوحيه الله لرسول من رسله، فلا خصوصية للمسيح فى أنه يصف بعضا من يوم الدينونة. . كذلك فإن هذه الأعداد - التى يقصدها جناب القمص - إلى جانب أعداد أخرى، تتحدث عن نفس الموضوع، يوم الدينونة، تعتبر من مشاكل إنجيل متى (تعتبر من الأمور التى تنبأ بها المسيح، بحسب متى، ولم تحدث).

- ففى متى (١٠ / ٢٣): توقع المسيح نهاية العالم (يوم الدينونة) قبل أن يكمل الرسل التبشير فى مدن إسرائيل. . «فإنىٔ الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى هذا اليوم».

- وفى متى (١٦ / ٢٨): توقع المسيح نهاية العالم قبل أن يدرك الموت بعض معاصرى المسيح. . «الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته».

- وفى متى (٢٤ / ٣٤) - التى لم يكملها جناب القمص حيث إنه قد ذكر حتى العدد ٣٢ ولم يكمل حتى العدد ٣٤ - توقع المسيح نهاية العالم قبل فناء الجيل الذى عاصر المسيح.

(وهذا قد يؤخذ على أنه نقص فى الأمانة العلمية). وتقول هذه الفقرة:

«الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله».

ويقول جون فينتون - عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا، فى كتابه، تفسير إنجيل متى:

«إن شيئا من هذا لم يحدث كما تنبأ المسيح على ما روى متى» صفحة ٢١ من الكتاب.

***

ثم يكمل جناب القمص رده عن نفس الموضوع - سنذكرها مراعاة للأمانة - مع الاعتذار عن الإطالة.

يقول جناب القمص:

«أما قوله أن الابن لا يعلم ذلك اليوم فيحتمل ثلاثة معان وهى:

أولا: أنه لا يعلمه علم من يشهره على الناس ويبلّغه لهم لأنهم لو عرفوا أنه بعيد لغفلوا عن الاستعداد له وأهملوا السهر والانتظار. ولو عرفوا أنه قريب لخافوا فعجزوا عن القيام بما عليهم.

ثانيا: أنه بقوله ولا الابن لم ينكر عدم معرفة ذلك اليوم لا بلاهوته ولا بناسوته ولكنه أنكر كون هذه المعرفة مصدرها الناسوت وحده دون اللاهوت إذ إن المراد (بالابن) هنا الإنسان المأخوذ منا، كما يقول القديس (أثناسيوس).

ثالثا: أنه بقوله ولا (الابن) لم يقصد بذلك أنه يجهل ذلك اليوم وإنما قصد معنى آخر وهو: لا يخفى أن الأفعال الإلهية الخارجة وإن كانت مشتركة ما بين الأقانيم الثلاثة، إلا أن بعضها ينسب إلى أقنوم الآب، وبعضها لأقنوم الابن، وبعضها لأقنوم الروح القدس.

فأفعال القدرة والتدبير تنسب للآب، والحكمة والفهم للابن، والجودة والتعزية للروح القدس. . . وحيث إن معرفة يوم الدينونة ورسمه هو فعل من التدبير الإلهى فهو يختص بالآب.

غير أن ذلك لا ينفى اشتراك الابن والروح القدس معه. كما أن نسبة التعزية للروح القدس لا ينفى نسبتها للآب والابن. واختصاص وظيفة الدينونة بالابن لا ينفى نسبتها للثالوث الأقدس. (راجع يوحنا ١٥ / ٦٢ و١٤ / ١٦ و٥ / ٢٢).

مع العلم بأن السيد لم يقل إن ابن الإنسان فقط لا يعرف يوم الدينونة، بل قال لا يعرف ذلك اليوم (إلا الآب).

وبهذا التعبير حقق بحسب الحرف أنه تعالى لم ينف عن نفسه فقط هذه المعرفة بل نفاها عن الروح القدس أيضا، والحال أن الروح القدس يفحص كل شىء حتى أعماق الله (١ كو / ١٠).

ومن ثم يتضح لنا أن السيد لم يقصد بهذا التعبير نفى المعرفة عنه، بل قصد أن هذا الأمر من الأمور المختصة بالأقنوم الأول فقط كما سلفت الإشارة». انتهى رد جناب القمص.

* * *

ونقول عن تكملة الرد وباختصار

١ - عن أولا: لا نعرف من أين أتى جناب القمص بهذا الاستنتاج، فإن النص لا يقول به، ولو كان ذلك كذلك لكان المسيح قد أعلنه صراحة حتى تتم به الفائدة ولا يظل النص لغزا يحتاج إلى التدخل بافتراضات بشرية.

٢ - عن ثانيا: لن نقول عن تفرقتهم - دونما نص - فى كلام المسيح، فيفرضون فى بعض قوله بأنه قاله بصفته إنسان، وفى البعض الآخر قاله بصفته إله، فهذا شىء معروف عنهم - مع أنه غير مقبول - ولكن نقف، وبدهشة، أمام تغييرهم للمراد (بالابن). وأن هذا التغيير أتى عن طريق القديس أثناسيوس (أحد كبار مؤسسى كنيسة الإسكندرية)... إذ القول بأن «الابن المراد به الإنسان المأخوذ منا»، هو قول يخالف قانون الإيمان المسيحى الذى تم وضعه فى مجمع نيقية (٣٢٥ م) - وهذا هو مصدر العجب - فقد ورد بقانون الإيمان، فيما يتعلق بالابن:

«..... ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق. مساو للآب فى الجوهر. الذى به كان كل شىء. الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء... إلخ».

والذى يبين من ذلك، أن المراد بابن الله (الابن) هو الأقنوم الثانى من الثالوث المسيحى، وليس ابن الإنسان، لأنه هو الذى نزل من السماء... كذلك - وبحسب تعريف الكنيسة الأرثوذكسية (الإسكندرية) فإن المسيح ذو طبيعة واحدة وإرادة واحدة، وعليه فعندما يقول المسيح قولا، لا يجب صرفه على وجهين وإرادتين، مرة يحمل على الطبيعة الإنسية والأخرى على الطبيعة الإلهية (لأن الكلام هو ترجمة منطوقة للإرادة)، فما دام قد تقررت إرادة واحدة للمسيح، فلا

يجب صرف كلامه على وجهين، مرة كإنسان ومرة كإله. . . فعندما يقول المسيح بأن الابن لا يعلم يوم الدينونة، فهو يعنى ما يقول - بصريح اللفظ -. ويقصد بالبنوة ما قصده قبلا - إنجيل يوحنا ١٠ / ٣١-٣٤ - من أنها بنوة مجازية. وعليه يبطل توضيح جناب القمص والقديس أثناسيوس.

زيادة فى إيضاح هذه النقطة. . فى مجمع خليكودينية (الذى كان السبب فى انفصال كنيسة الإسكندرية عن الكنيسة الغربية)، والذى لخص مقرراته - صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر -. . وقد قال فيما قال: «. . . . . وأن أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة».

وهذا النص يعنى أن الابن هو الأقنوم الثانى، وليس كما قالوا.

٣ - عن ثالثا: نرى أنه فى المقدمة يثبت أن الأفعال الإلهية الخارجة مشتركة بين الأقانيم الثلاثة. . إلا أنه يعود فيقرر بأن لكل أقنوم خصوصية فى هذه الأفعال!! كيف؟. . ويعود مرة أخرى يكرر نفس القول، يثبت وينفى فى نفس الوقت.

***

ونلاحظ فى كل ما تقدم بأنهم دائما يلجأون إلى تحميل النص ما لا يحتمله، ويأتون بفروض لا تؤيدها نصوص قطعية. . .

ولنا تعليق بسيط على ذلك. . ألم يكن من الأسهل والأكثر اتفاقا مع المنطق والعقل، وإحقاقا للحق، أن يؤخذ النص على ظاهره. . ونقرر بأن المسيح لم يكن يعلم هذا اليوم وفقا لظاهر النص، ومع عدم وجود علة صارفة تدعو لخلاف ذلك.

(١٥) من أراد أن يرى أكثر فليقرأ الكتاب المقدس بعهديه. . (فقط أن تكون قراءة تحليلية) ثم يحكم بنفسه.

ميراث الخطيئة

«فى تلك الأيام لا يقـولون بعد، الآبـاء أكلوا حصـرما، وأسنان الأبنـاء ضرست بل كل واحد يمـوت بذنـبه، كل إنسان يـأكل الحصرم تضرس أسنانه».

سفر إرميا ٢٩/ ٣١-٣١.

كان الاعتقاد فى بـنى إسرائيل - حتى عصر إرميا قبل ٦٠٠ عام من ميلاد السيد المسيح - يقول بأن الأبناء يـرثون خطايا الآباء.. فنفى الله هذه العقيدة. على يد إرميا النبى

«كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه».

ميراث الخطيئة والكفارة والفداء

* «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك **أنت الإله الحقيقى وحدك**، ويسوع المسيح الذى أرسلته» إنجيل يوحنا ١٧ / ٣.

* «وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعونى صالحا. **ليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله**» إنجيل متى ١٩ / ١٦.

* «الحق الحق أقول لكم إنه **ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله**» يوحنا ١٣ / ١٦.

* «الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى. والكلام الذى تسمعونه **ليس لى بل للآب الذى أرسلنى**» يوحنا ١٤ / ٢٤.

* «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب. **لأن أبى أعظم منى**» يوحنا ١٤ / ٢٨.

* «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء **ولا الابن إلا الآب**» مرقس ١٣ / ٣٢.

هذه هى الحقيقة الأزلية التى أطلقتها سيدى المسيح منذ ألفى عام **(لا إله إلا الله، المسيح رسول الله)**.. ولكن آخرين قالوا قولا آخر!!

* * *

يقول أبو حامد الغزالى [٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ] فى كتابه - الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل - ما نصه:

«إنى رأيت مباحث النصارى، المتعلقة بعقائدهم ضعيفة المبانى واهية القوى وعرة المسالك، يقضى المتأمل من عقول جنحت إليها عجبه، ولا يقف من تعقيدها

على اليسير من أربه. ولا يعولون فيها إلا على التقليد المحض، عاضين بالنواجذ على ظواهر أطلقها الأولون، ولم ينهض بإيضاح مشكلها لقصورهم الآخرون.. معتذرين عن اعتقادهم بما ورد من نصوص يعتقدون أنها قاهرة للفكر، غير قابلة للتأويل، وأن صرفها عن ظواهرها عسير»..(١)

ولنمض لنرى هذه النصوص حتى يمكن أن نعرف إن كانت هذه النصوص تؤيد أم تنفى ما ذهبوا إليه.

ولن يكون اختيارنا للنصوص من أقوال الآباء الأولين أو أقوال بعض المفسرين (إلا فى أضيق الحدود)، وإن كانت أقوال الآباء الأولين وتفسيرات كهنتهم مقدسة عند النصارى، وذلك حتى لا نتهم بأننا نتزيد عليهم. وإنما ستكون النصوص التى نتحاجج بها من الكتاب المقدس نفسه أو من قرارات مجامعهم... ولنبدأ رحلتنا:

تتأسس المسيحية الحالية على:

١ - بعد أن خلق الله آدم وضعه فى جنة عدن، وأوصاه قائلا.. من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت...وخلق له بعد ذلك حواء لتكون له زوجة.. وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان» تكوين ٢ / ١٥-٢٥..(٢)

٢ - أغوت الحية - وكانت أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب - فقالت للمرأة - حواء - لن تموتا إذا أكلتما من الشجرة المنهى عن الأكل منها، ولكنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فأكلت المرأة من الشجرة وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر». تكوين ٣ / ١-٧.

ملحوظة: لا يوجد حتى الآن ما يفيد أى ذكر للشيطان وأنه عدو للإنسان أو أن يكون الله قد حذر آدم منه حتى يحترز ويحتاط، ويستفاد من النصوص السابقة بأن الحية فعلت ذلك بما جبلها الله من شدة الحيلة (وكانت أحيل جميع حيوانات البرية)؛ لذا كان العقاب لها مباشرة كما سيرد بعد.

٣ - لما علم الله بما حدث كان عقابه الذى أنزله كالتالى:

أ - للحية:

لأنك فعلت هذا ملعونةٌ أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك.

ب- للمرأة:

تكثيرًا أكثِّرُ أتعاب حبلك. .بالوجع تلدين أولادًا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.

جـ - لآدم:

لأنك سمعت لقول امرأتك ملعونةٌ الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. تكوين ٣ / ١٢-١٩

وقف الكتاب المقدس عند هذا الحد بخصوص خطأ أو (كما يسمونها) خطيئة آدم.

* * *

إضافات الآباء الأولين للمسيحية

لما سبق أضاف الآباء الأولون للمسيحية ما يلى:

* الشيطان هو الذى أغوى حواء. وحواء أغوت آدم على الأكل من الشجرة.

* أن بنى آدم ورثوا خطيئة آدم وأورثوها لمن بعدهم جيلا بعد جيل. .(٣)

* حكم الله على آدم وحواء ونسلهما من بعدهما بالعذاب والخلود فى الجحيم النار الأبدية.

* أراد الله أن يغفر للبشر، وحتى يتم الغفران كان لا بد أن يقدم قبله ذبيحة وأن يراق دم. .وكان من شروط هذه الذبيحة أن تكون:

- خالية من الخطيئة.
- غير محدودة.
- بها جنس بشرى.

ولم يجد الله من تتوافر فيه هذه الشروط سوى أن يرسل ابنه الوحيد - الأقنوم الثانى فى الثالوث الأقدس - أن يقدم نفسه ذبيحة. . ولقد قام الروح القدس - الأقنوم الثالث فى الثالوث الأقدس - بخلق جسد بشرى، أودعه فى رحم مريم وحل الإله الابن فيه. . . وبعد تسعة أشهر - تمام شهور الحمل - ولد الإله المتأنس وتعايش مع البشر - من فرط محبته لهم - ثم عُلِق على الصليب ومات عليه وصار لعنة، وقُبِر لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالى نزل خلالها إلى الجحيم ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الله كى يدين العالم.

* لا يوجد فى العهد القديم أو فى الأناجيل الأربعة ما يشير من قريب أو بعيد إلى أى من هذه الافتراضات ولكنها مما سجله الآباء الأولون،

وينسب إليهم أنهم يكتبون ما يكتبون وهم مسوقون من الروح القدس، وموضوع أنهم يكتبون وهم مسوقون من الروح القدس فهذا موضوع يقال فيه الكثير ولكن ليس فى هذا المقام. . (٤)

* * *

والآن نقف هنيهة لنرى ما يمكن أن نستخرجه من هذه النصوص والافتراضات:

أ - نصوص العهد القديم:

- قبل خطأ أو خطيئة آدم حكم الله على آدم فقط بالموت إن هو أكل من الشجرة المنهى عن الأكل منها - كما تم توضيحه قبلا من سفر التكوين.

- بعد وقوع الخطأ صار الحكم كالتالى:

* لعن الحية وحكم عليها بأن تسعى على بطنها وترابا تأكل (وقد يفهم من هذا النص أن الحيات إما أنها كانت تطير أو تسير على أرجل).

* تحبل المرأة بالتعب الكثير وتلد بالأوجاع وتشتاق هى إلى رجلها وهو يسود عليها.

* لعن الله الأرض بسبب آدم وأن يأكل منها بالتعب.

* جميع هذه العقوبات لم تكن مقررة قبل الوقوع فى الخطأ. . بمعنى أن الله لم يلتزم بما قرره قبلا، ولم يوضح لنا الكتاب المقدس السبب فى ذلك. . . والذى كنا نتوقعه من عدل الله أن يميت آدم - وفقا للعقوبة المقررة قبلا - ويخلق آدم بخلافه وفقا لمقتضيات العدل، أو أن يغفر، - وهو أهلٌ لذلك - كما يخبرنا الكتاب المقدس نفسه كما سيأتى ذكره بعد (سفر حزقيال).

ب - إضافات الآباء الأولين:

لا يوجد أى نص كتابى - سواء فى العهد القديم أو الأناجيل الأربعة - يمكن مناقشته، ولكنها لا تزيد عن كونها افتراضات بشرية لا ترقى إلى النص المقدس.

* * *

جولة بين نصوص أخرى من الكتاب المقدس

فيما يتعلق بميراث الخطيئة نراجع ما ورد بالعهد القديم من الكتاب المقدس بخصوصها فسوف نرى:

أ - سفر إرميا [٦٢٧ ق م] ٣١ / ٢٩:

«لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأبناء ضرست. . **بل كل واحد يموت بذنبه**. . كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه».

ب - سفر حزقيال ١٨ / ١-٢٩:

«٢ مالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين. . الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. . حى أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل فى إسرائيل. . . . ها كل النفوس هى لى. . نفس الآب كنفس الابن كلاهما لى **النفس التى تخطىء هى تموت** والإنسان الذى كان بارا وفعل حقا وعدلا. . . . . فهو بار يحيا. يقول السيد الرب. .

١٠ فإن ولد ابن معتنقا سفاك دم ففعل شيئا من هذه . . . ١٣ وأعطى بالربا وأخذ المرابحة أفيحيا؟. لا يحيا قد عمل كل هذه الرجاسات فموتا يموت دمه يكون على نفسه. .

١٤ وإن ولد ابنا رأى جميع خطايا أبيه التى فعلها فرآها ولم يفعل مثلها، . . . ١٧ ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا بل أجرى أحكامى وسلك فى فرائضى

فإنه لايموت بإثم أبيه، حياة يحيا، أما أبوه فلأنه ظلم ظُلما واغتصب فهو ذا يموت بإثمه. . .

١٩ وأنتم تقولون، **لماذا لا يحمل الابن من إثم أبيه؟**، أما الابن فقد فعل حقا وعدلا. حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياة يحيا. **النفس التى تخطئ هى تموت.. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن**. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقا وعدلا فحياة يحيا، لا يموت. . كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه، فى بره الذى عمل يحيا. . .

٢٤ وإذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير أفيحيا؟. .كل بره الذى عمله لا يذكر. .فى خيانته التى خانها وفى خطيئته التى أخطأ بها يموت. . . .

٢٦ إذا رجع البار عن بره وعمل إثما ومات فيه فبإثمه الذى عمله يموت. . وإذا رجع الشرير عن شره الذى فعل وعمل حقا وعدلا فهو يحيى نفسه. . .

٣٠ من أجل ذلك أقضى عليكم يا بيت إسرائيل كل واحد كطرُقه يقول السيد الرب. . توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة».

*** وقد نفهم من هذين النصين (إرميا وحزقيال) من أين تسربت نظرية وراثة الخطيئة إذ إنها وكما يخبرنا الكتاب المقدس (إرميا وحزقيال) بأن هذا كان شائعا فى بنى إسرائيل.**

جـ - سفر التثنية ٢٤ / ١٦:

«١٦ لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء. .كل إنسان بخطيئته يقتل».

وبالنظر الى معانى هذه النصوص فى «التفسير التطبيقى للكتاب المقدس والمطبوع فى إنجلترا والذى كتبه وراجعه ٣٢ عالما وأستاذا بعلم اللاهوت المسيحى من مختلف أنحاء العالم، لم نر أنهم فى التفسير قد خالفوا ظاهر النص.

هـذا عن العهـد القديم، أمـا الأناجيل فى الـعهد الجـديد فقـد وردت فيها نصوص تـفيد الالـتزام التـام بما ورد بالـناموس (الـتوراة والكتـب والأنبياء). . . ولنرى. .

- ورد على لسان المسيح فى الأناجيل ما يلى:

١ - «لا تظنوا أنى جئت لأنـقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل» متى ٥ / ١٧ .

(ورد بالـترجمة الإنجـليزيـة المعتمـدة للكـتاب المقدس - نـسخة الملك جيمس) كلمة «لأحقق» بدلا من لأكمل - To fullfill .

٢ - «على كـرسى موسى جلس الكتبة والفـريسيون، فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه. . ولكن بحسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» متى ٣٣ / ٢-٣ .

وتتردد فى الأناجيل دائما عبارة - كى يتم ما قيل بالأنبياء- وما شابهها، بل وإنه وفقا للمفهـوم المسيحى الحالى فإن المسيح هـو الذى أنزل هذه الكتب بكل ما حوته من نصوص، بحكم ألوهيته. .بزعمهم. .(٥)

* كما ورد على لسان المسيح ما يفيد حصر رسالته فى بنى إسرائيل إذ ورد:

- «فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهـنة وكتبة الشعب وسألـهم أين يولد المسيح. فقالوا له فى بيت لحم الـيهوديـة. لأنه مكتـوب بالنـبى. وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤسـاء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل» متى ٢ / ٣-٦ .

- «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» متى ١٥ / ٢٤ .

- «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة الـسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» متى ١٠ / ٥-٦ .

* لا يقدح فى ذلك ما ورد بختام إنجيل متى «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» متى ١٨ / ١٩ .

فهذه العبارة تتعارض مع العبارتين السابقتين اللتين تفيدان حصر الرسالة فى خراف بيت إسرائيل الضالة، والعبارة التى قبلها عن هيرودوس.

كذلك... وعن هذه العبارة [اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس] يقول د. أدولف هنرك أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين فى كتابه (تاريخ العقيدة) والذى يقع فى سبعة أجزاء وقد ظهرت طبعتا الثالثة بالألمانية عام ١٨٩٣ وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٠٠ قال ما يلى:

١ - «لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات.. وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا».

٢ - «إن صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس، غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل»... من كتاب المسيح فى مصادر العقيدة المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة.

* * *

* كذلك وبمراجعة مقررات مجمع نيقية المسكونى المنعقد عام ٣٢٥ م لا نجد ذكرا للثالوث.. وكان سبب انعقاده والدعوة إليه لمحاربة ما سمى ببدعة آريوس والذى يقول عنه ابن البطريق (مؤرخ مسيحى) أنه «كان يقول بأن الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن» - كتاب محاضرات فى النصرانية للأستاذ محمد أبو زهرة.

ومن المرجع السابق نقلا عن ابن البطريق يقول ابن البطريق «اجتمع فى مدينة نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة من جميع البلدان وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البرابرانية،

ويسمون المريميين، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهى مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب، لأن الكلمة دخلت أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهى مقالة إليان وأشياعه.

ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة؛ ولذلك سمى ابن الله، ويقولون الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وأشياعه، وهم البوليقانيون.

ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل. صالح، وطالح، وعدل بينهما، وهى مقالة مرقيون اللعين وأصحابه وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا»... انتهى النص.

***

العقيدة التى وضعها المجمع

وضع هذا المجمع المحدود من الأساقفة (٢٠٤٨ أسقفا حضروا ولم يقروا بالمجمع سوى ٣١٨ أسقفا) قرارات فى العقيدة والشريعة، ولا يهمنا هنا إلا ما يتصل بالعقيدة.. وقد ذكرها صاحب كتاب «تاريخ الأمة القبطية» فقال عنها ما نصه:

«إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شىء. أو من

يقول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الآب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول أنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران».

عن هذا المجمع يمكن أن نقول:

أ - تم تغليب رأى ٣١٨ أسقفا علـى آراء ١٧٣٠ أسقفا وذلك بقوة سلطان قسطنطين إمبراطور الرومان، وفى ذلك يقول ابن البطريق: «وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما، وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه، وسيفه، وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتى، لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالو له: أظهر دين النصرانية، وذب عنه. . . .».

ب - الملك قسطنطين عندما أيد ووقف مع الأساقفة الـ ٣١٨ فقط لم يكن نصرانيا عالما بشئون الدين ولكنه لم يكن قد تنصر بعد، ويقول المؤرخ أبو سيبوس، وتسميه الكنيسة بسلطان المؤرخين: «إن قسطنطين عُمِد حين كان أسير الفراش»، أى أن قسطنطين كان وثنيا أثناء انعقاد هذا المجمع.

جـ - قرارات هذا المجمع لم تكن صائبة من وجهة النظر المسيحية إذ إنه حرّم كتبا من العهد القديم وكتبا من العهد الجديد ومن هذه الكتب: رسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، وقد ردت مجامع تالية الاعتبار لهذه الكتب واعتمدتها ككتب مقدسة.

د - لم يتعرض هذا المجمع للروح القدس من حيث الألوهية. ولم يتم ذلك إلا فى مجمع القسطنطينية الأول المنعقد ٣٨١ م.

* ونستطيع أن نستنتج مما سبق بأنه لو كانت العبارة الأخيرة من إنجيل متى (تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بسم الآب والابن والروح القدس) مدونة

بـإنجيل متى فى ذلك الـتاريـخ، وقد تم فى هـذا المجمع اعـتمـاد هذا الإنجيل، فما كان هـناك داع لعقـد هذا المجمع أو مُجمع الـقسطنـطينية بعـده، (وقد تم فى هذين المجمعـين اعتماد الألـوهية للـمسيح وللروح القدس على التوالى). . . . (بالاستعانة بما ورد فى كتاب الشيخ محمد أبو زهرة، محاضرات فى النصرانية).

* * *

يـتضح من النصوص السابقة الذكـر - (أرميا وحزقيال)، من العهد القديم، والذى أنزله المسيح بـحكم ألوهيته - بزعمهم. . هى نـصوص قاطعة جازمة بعدم مسئولية جـيل عن خطأ جيل آخر، أو مسئـولية شخص عن خطأ شخص آخر. . فـالبار لا يضار بـخطأ أبيه أو خطـأ ابنه، وفى بره يحيـا. . . والمخطئ والشرير لا يهلك غيره سواء كان أباه أو ابنه بشره. .

* * *

وبذلك لا يـقبل القـول بوراثـة أبناء آدم لخـطيئـته من بعده، لمخـالفة ذلك لنصوص الكتاب المقدس.

وتبعـا لما تقدم تـفسد عقيـدة الكفارة. . لأنه والحـال كذلك لا يقبل أن يتم التكفير عن كل البشر من آدم حتى المسيح عن خطيئة لم يرتكبها سوى آدم.

ويستـحق فقط أن يميت الـله آدم عدلا لـمطابقة ذلـك للنص المـقدس «موتا تموت». . أما أن تـستبدل العقوبـة من الموت على آدم فقط إلى الحكم عليه وعلى أجياله من بعده بـالخلود فى النار الأبدية. . والحكم على المرأة والحية والأرض كما سبق توضيحه، فإن ذلك لا يتفق مع عدل البشر فضلا عن عدل الله. . ففى قانون البشر، لا عقوبة إلا بنص. . ويستحق آدم أن يميته الله ويخلق آدم آخر.

* * *

ختام للنصوص:

لا نستطيع أن ندعى بأننا ألممنا كل الإلمام بالنصوص التى تنفى عقيدة وراثة الخطيئة، ولا يجمل أن نترك النصوص دون ذكر ما ورد عن نوح وبنيه فى سفر التكوين فى الكتاب المقدس. ويمكن أن نختم بهذه النصوص.

١ - سفر التكوين ٦ / ٥-٨: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان. وتأسف فى قلبه، ٧ فقال الرب أمحو من وجه الأرض الإنسان الذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم. ٨ **أما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب**»

- **بعد بناء السفينة**

٢ - سفر التكوين ٧ / ١: «وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك. **لأنى إياك رأيت بارا لدىّ فى هذا الجيل**».

- **بعد جفاف الماء**

٣ - سفر التكوين ٨ / ١٥: «وكلم الله نوحا قائلا: اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بيتك معك».

- **بعد الخروج من الفلك**

٤ - سفر التكوين ٨ / ٢١-٢٢: «وقال الرب فى قلبه **لا أعود ألعن الأرض** أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لاتزال».

٥ - سفر التكوين ٩ / ١: «**وبارك الله نوحا وبنيه** وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض».

٦ - سفر التكوين ٩ / ٨: «وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا. وها أنا مقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم».

* * *

ويمكن أن نستخلص من هذه النصوص ما يلى:

* محا الله جميع مخلوقاته من البشر فيما عدا نوح وأسرته. لأن الله وجد نوحًا بارا. (البار فى بره يحيا بحسب حزقيال).

* بارك الله نوحا وبنيه بعد خروجهم من السفينة وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض.

* أقام الله ميثاقه مع نوح وبنيه وقال لهم: ها أنا مقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم.

* ألغى الله لعنته للأرض ووعد بأن لا يلعن الأرض بعد ذلك.

واختصارا نقول:

أ - إن نوحًا أصبح آدم جديدا. فقط بلا خطيئة.

ب - أصبح نوح وبنوه أبرارا وباركهم الله وأقام ميثاقه معهم.

وبناءً على ذلك

وعلى فرض أننا لم نكن نعرف نصوص الكتاب المقدس النافية لفكرة ميراث الخطيئة واستلزام الفداء والكفارة تبعا لذلك والتى ذكرناها قبلا (إرميا وحزقيال).. وعلى الفرض الجدلى بأن ميراث الخطيئة واستلزام الكفارة والفداء تبعا لذلك هو أمر وارد، فنسأل:

ألا تعنى قصة نوح من واقع الكتاب المقدس - وفقا للنصوص التى اخترناها من سفر التكوين - بأن جميع من ورثوا الخطيئة قد أُهلكوا فى الطوفان. وأن من قاموا بإعمار الأرض بعد الطوفان (نوح وبنوه) هم أبرار مباركون من الله حتى أن

الله أقام ميثاقه معـهم. .إذ لا يُقبل أن يقيم الله ميثاقه مع خطاة. .وعليه فلا داعى لنزول ابن الله وتجسده وصـلبه وصيرورته لعنة للتكفير عن الخطيئة. . لأن الطوفان قد أدى هذه المهمة.

هذا عن النصوص والنقل، أما عن العقل فذلك موضوع آخر سوف نلج فيه حالا. . . .

***

مقتضيات العقل فى القضية:

١ - من النصوص السابقـة المقتبسة من الأناجيل يتضح بأن المسيح لم يرسل إلا إلى بنى إسـرائيل (إنجـيل متى ٢/ ٣-٦، ١٥ / ٢٤، ١٠ / ٥-٦)، وهذا وحده كاف لـنفى فكرة أو نظرية توارث الخـطيئة، لأنه وفقا لهذه الفكرة فـإن جميع بنى آدم ورثـوا هذه الخطيئـة. . . وعقاب الله شمل جميع بنى آدم. . فكيف سيكفر المسيح عن كل البشر وهو لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. . . .؟.

٢ - وفقـا للكتاب المقدس فقد ارتـكب بنو إسرائيل (على عهد موسى. أى قبل المسيح بحـوالى ١٥٠٠ عام) كثيرا من الأخـطاء والموبقات التى لا يـقارن خطأ آدم بها. . وكواحدة من تلك المـوبقات عبادتهم للعجل فى سيناء بعد الخروج من مصر:

«ولما رأى الشـعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجـبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. . . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتـوا بهـا إلى هارون، فأخـذ ذلك من أيديهم وصـوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. . .فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر، زاغـوا سريعا عن الطريق الذى أوصـيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل. . .». . (٦)

سفر الخروج ٣٢ / ١-٨.

- وقياسا علـى خطأ آدم - مجرد الأكل من شجـرة نُهىَ عن الأكل منها - نقول قيـاسا على هذا الخطـأ، فإنه كان يلزم للـتكفير عن خـطيئة عبادة العجل - الخـطيئة التى ارتكبت فى حق الله - أن ينزل الإله إلى الأرض لـيصـلب ألف مرة. . فى حـين أننـا نجد وفى نـفس السـفر وعن نفس الخطـيئة بأن الله قد غفر هـذه الخطيئة لأن «الرب إله رحيم رؤوف بطىء

الغـضب، وكثيـر الإحسان والوفـاء. حافظ الإحســان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطيئة. .».

سفر الخروج ٣٤/ ٦-٧.

٣ - خطـيئة آدم لم تكن سـوى أنها غلطـة وسهو من إنســان لا يعلم الخير والشر - كنص الكـتاب المقدس - ولا يوجد نـص فى الكتاب المقدس يفيد بأن الــله حذره من الشيطان أو أن يكون حتى قد أخطره بوجود ما يسمى شـيطان. . أى أنه كان كـالطفل المولـود بلا معارف ولا خبرات سابقة، فكيف يعاقب على مجرد خطأ بسيط ويعاقب بالأحكام السابقة والقاسية فضلا عن عـقاب أجياله من بعده عن خـطأ لم يشاركوا فيه؟ الأمر الذى لا ينبئ عن أى محبة بين الله والناس.

٤ - يقولون بأن كل من كان من زرع بشر فـهو جامل للخطيئة بوراثتها عن أبويه. . ومريم من زرع بشر (لها أب وأم قـبل مجىء المسيح)، فتكون إذًا حاملة ووارثة للخـطيئـة بوراثتها عن آبائها. . . والمسيح من مريم - من الناحية الـبشرية - فيكون إذًا حاملا للخـطيئة وليس بلا خطيئة كما يقولـون. وحيث إن الفادى - بحسب مـعتقدهم - يجب أن يكون بلا خطيئة، فالمسيح لا يصلح أن يكون فاديا.

- والقول بأن الله قد طهر مريم قبل أن تحبل بالمسيح حتى يكون مولودها - المسـيح - بلا خطيئة ويصلح بذلك أن يكون فاديا. . فهذا قول مردود، لأنه والحـالة كـذلك فإنـهم يقـرون بأن الـله قادر عـلى أن يطـهر من الخطيئة. . فلماذا لم يطهر آدم من البداية ويحمى خلقه الذين يحبهم - كما يزعمون - من الوقوع فى الإثم ويحميهم من جهنم النار الأبدية؟

٥ - كيف يكون جـميع بنى آدم من آدم وحتى المسيح وارثـين للخطيئة وأنه كان محكومًا عليهم بالخلود فى جهنم النار الأبدية ومنهم نوح الذى قال عنه الكـتاب المـقدس: إنه كـان بارا فى أجـياله. . وإبـراهيم وإسحق

وإسماعيل ويعقوب الذين باركهم الله. كما ورد فى الكتاب المقدس، وموسى الكليم وجميع أنبياء بنى إسرائيل؟ . . وكيف كان الروح القدس- بزعمهم - يلهم أناسًا خُطاة، وهم كتبة أسفار العهد القديم؟.

وهم بذلك يسقطون حجية العهد القديم بكل أسفاره. حيث إن جميع كتبته خطاة وعصاة (بحكم وراثتهم للخطيئة من أبيهم آدم).

٦ - الحكم على المرأة بالحمل والولادة بالأوجاع والآلام. . والحيات أن تأكل التراب وتزحف على بطنها. . والرجل يأكل من عرق جبينه. . نسأل: هل تم رفع هذه العقوبات بعد أن قام المسيح بالفداء؟، وهل أصبحت المرأة التى آمنت بالمسيح تحبل وتلد بدون أوجاع أو آلام؟ وهل عادت الحيات تطير أو تمشى على أرجل؟ وهل أصبح الرجل لا يأكل من عرق جبينه؟

٧ - استمرار الأوجاع والآلام للمرأة فى الحمل والولادة. . وأن الحيات ما زالت تزحف على بطنها، والرجل ما زال يأكل من عرق جبينه (وهو واقع الحال). . نقول إن استمرار كل ذلك بعد صلب المسيح-بزعمهم - يفيد بأن الفداء والكفارة لم تتما. فإنه يلزم، والحال كذلك، أن ينزل الله مرة أخرى ليصلب ليتم الفداء ويتم التكفير عن خطيئة آدم.

نقول. . قليلا من التفكير واجب. . . وهو يكفى.

على أن يفكر الإنسان بمفرده، أو فقط مع آخر، متخليا أو متخليين عن أية أفكار سابقة.

ثم بعد ذلك يحق لنا أن نسأل:

هل بقى شىء فى عقيدة وراثة الخطيئة جدير بالاعتبار؟

وفى حالة الإجابة بالنفى، هل هناك سبب للكفارة والفداء؟

* * *

قصة آدم فى القرآن الكريم

وردت قصة آدم فى القرآن الكريم فى أكثر من سورة، ولكننا سنركز على ما ورد عنها فى سورة طه (١١٥ - ١٢٦):

*﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾...

يلاحظ أن النص القرآنى واضح وبسيط ولا يحتاج إلى عميق تفكير. ويختلف عن النص فى الكتاب المقدس فى النقاط:

١ - أن الله نبه آدم وحذره من الشيطان وأنه (أى الشيطان) عدو له ولزوجه وقد يكون السبب فى إخراجهما من الجنة.

٢ - الجنة التى وضع الله فيها آدم وزوجه هى حديقة على الأرض وليست هى جنة الخلد (على خلاف فى ذلك).

٣ - أن الشيطان وسوس مباشرة إلى آدم وليس إلى حواء عن طريق الحية.

٤ - أن الله نفذ وعده فقط ولم يزد عليه، حيث كان الوعد ﴿ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ وكان العقاب ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ فقط.

أما أن آدم قد عوقب برغم توبته وقبول الله لها فهذا مبحث آخر لا يهم فى هذا البحث.

٥ - أن الله قـد تاب على آدم وغفر له خطيئته ولم يورثها لذريته من بعده، حيث إن آدم لم يكن عازما على الخطأ ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وأن ميراث الخطيئة لا يتفق مع العدل الإلهى ولا النصوص المقدسة.

ويلاحظ أيضـا مدى اتفاق هذه الروايـة مع العقل والعدل الإلهى، حيث إن العدل البشرى كان يقتضى العقاب، أما العدل الإلهى فيشمل المغفرة - بدون العزم على الخـطأ وعند التوبة - ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ... (٣)﴾ [غـافر] - كذلك : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ [طه]. . . . .ومـن سفـر الخروج فى الـكتـاب المـقدس: «الـرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغـضب وكثيـر الإحسان والـوفاء. حافظ الإحـسان إلى ألوف، **غافر الإثم والمعصية والخطيئة»**. خروج ٣٤ / ٦-٧.

* * *

صلب المسيح

«إن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا، وباطل أيضا إيمانكم»

رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥/ ١٤

كان هذا رأى بولس فى رسالة المسيح. والتى تمثل حادثة الصلب العمود الفقرى فيها. لأنه لو لم يكن صلب، لم يكن موت ولم تكن قيامة.

وهو بذلك قد قبل على إلهه أن يموت على الصليب، وأن يكون ملعونا بحسب الناموس

صلب المسيح

قبل الدخول فى هـذا الموضوع الهام يجب أن نوضح معنى الكلمات، وأهم كلمة مطلوب توضيحها هى كلمة (الصلب).

ولنتصور شخصين عُلِقا على الصليب وأُنزِلا، أحدهما مات والآخر لم يمت. هل يُقبل أن نقول أن كِلا الشخصين قد صُلبا؟

بالقطع لا. صحيح أن كليهما اشتركا فى التعليق على الصليب، ولكن الذى مات يقال عنه أنه صُلب، والآخر يقال عنه فقط عُلِق على الصليب. كمثل اثنين غطسا تحت الماء، أحدهما خرج حيا والآخر مات، فيقال للذى مات تحت الماء أنه غرق، أما الآخر فيقال له غطس تحت الماء وخرج فقط.

من المعلوم وفقا لبولس أن صلب المسيح (أى موته على الصليب) يمثل العمود الفقرى فى المسيحية وبدونه لا تكون مسيحية. . . . إذ يقول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس:

«إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم» ١٥ / ١٤.

ذلك أن موت المسيح على الصليب وسفك دمه هو الأمر اللازم بحسب التقدير الأزلى الإلهى حتى يتم التكفير والفداء عن خطيئة آدم ووراثة أبنائه من بعده لهذه الخطيئة - بحسب المعتقد المسيحى - وبدون ذلك لا تتم الكفارة ولا يتم الفداء.

ومن المعروف بحسب المعتقد المسيحى أيضا بأن المسيح هو الأقنوم الثانى فى الثالوث الإلهى (الابن أو الكلمة) متأنسا. وأن الآب وهو الأقنوم الأول قرر منذ الأزل أن يرسل ابنه الوحيد (الابن الإله أيضا) كى يتأنس ويحل فى رحم عذراء (مريم) فى جسد إنسان، ويظل فى الرحم لمدة تسعة أشهر (أيام حمل كاملة). . ويولد ويتألم ويُصلب ويموت ويُقبر ويقوم من الأموات فى عهد بيلاطس البنطى.

وحتى تكون الأمور أكثر وضوحا يجب أن نعرض للثالوث الإلهى - بحسب معتقد النصارى - ذلك أن النصرانية تؤمن فى واقع الحال بثلاثة آلهة (يسمونها أقانيم).. وهذا ما ينطق به قانون الإيمان الخاص بهم والذى وضع جزء منه فى مجمع نيقية (٣٢٥ م). واستكمل فى مجمع القسطنطينية (٣٨١ م). والذى يوضحه الدكتور بوست فى كتابه «تاريخ الكتاب المقدس».. إذ يقول: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: **الله** الآب، **والله** الابن، **والله** الروح القدس، فإلى الآب ينتمى الخلق، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير».. (٧)

من كتاب محاضرات فى النصرانية للإمام محمد أبو زهرة صفحة ١٠٢.

وعلى ضوء ما تقدم، سوف نبحث هذا الموضوع - الصلب - من واقع روايات الأناجيل نفسها وليس من مصدر آخر. حتى نكون كما يقول المثل: نأتى بالثور من قرنيه للبئر ليشرب. وسوف يكون بحثنا مسلسلا كالآتى:

١ - أحداث بستان جشيمانى قبل القبض على المسيح.

٢ - نبوءات الكتاب المقدس (العهد القديم) التى تتنبأ - بزعمهم - عن صلب المسيح.

٣ - موقف بيلاطس - الوالى الرومانى - من صلب المسيح.

٤ - مريم المجدلية ويوسف الذى من الرامة ونيقوديمس.

٥ - دحرجة الحجر من أمام القبر بعد وضع المسيح فيه.

٦ - بعد الخروج من القبر.

ولنبدأ....

أولا: أحداث بستان جشيماني

١ - «حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك. . وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا، يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس **كما أريد أنا بل كما تريد أنت**. . . . فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها **فلتكن مشيئتك**. . . فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثا قائلا ذلك الكلام بعينه». إنجيل متى ٢٦ / ٣٦-٤٦.

٢ - «ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن **لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت**» إنجيل مرقس ١٤ / ٣٥-٣٦.

٣ - «وانفصل عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن **لتكن لا إرادتي بل إرادتك**... **وظهر له ملاك من السماء يقويه**. . . وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» إنجيل لوقا ٢٢/ ٤١-٤٤.

٤ - خلا إنجيل يوحنا من أي إشارة لهذه الصلاة، وقد يكون لم يسمع بها.

***

واستكمالا لاستعراض المصادر المسيحية. للأمانة وحتى لا نتهم بأننا نبغي زورا في حين أننا لا نبغي سوى الوصول للحق. نعرض ما ورد بالتفسير التطبيقي للكتاب المقدس - كتبه وراجعه علماء لاهوت وأساتذة من مختلف أنحاء العالم صفحة ٢١٥١، يقول عن النص الوارد في إنجيل لوقا ٢٢ / ٤١-٤٤. ما يلي:

- «هل كان الرب يسوع يحـاول ان يتملص من إرساليته؟. . ليس خطأ على الإطلاق أن نعبر لله عن مشاعرنا الحقيقية. وقد عبر يسوع عنها فى هذه العبـارات لكنه أيـضا أكد التـزامه بعمل مـا يريده الـله. . والكأس التى يتحدث عنهـا هى الآلام الفظيعة التى يعرف أنه سيتجرعها، وهى ليست فقط عناء الصلب لكن أيضا، وهو الأسوأ، الانفصال التام عن الله الذى كان عليه أن يجتازه حتى يموت من أجل خطايا العالم.

- لم يـتكلـم سوى لوقـا من بين المبـشرين الأربعـة، عن العرق كـقطرات الدم. . اخـتار الرب يـسوع أشد الآلام لـكنه لم يـخضع أو يسـتسلم، واستمـر فى إتمام المـهمة التـى جاء إليهـا، ولذلك كانـت الرسالة إلى العبرانيين «فتأملوا مليا ما قاسـاه المسيح بتحمله تلك المعاملة العنيفة التى عامله بها الخاطئون لكى لا تتعبوا وتنهاروا»!!! انتهى التفسير.

* يلاحظ أن التفسير أهمل التعرض للنقاط التالية:

١ - انفصـال المشيئتين والإرادتين - مشيـئة الله (الآب) ومشيئة المسيح (الله الابن متأنسا) - والتى تتضح فى «ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت»، «ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت». . «ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك». . لأن التـعرض لهذه العبارات سوف يثبت - بعيدا عن أسلوب القص واللصق فى التفسير - نقول سوف يثبت أن لله إرادة بخلاف إرادة المـسيح، وأن ذلك سوف يدخل المسيـحية الحالية فى اتجاه آخر، ولكن لهذا الموضوع مكان آخر.

٢ - عبارة «وظهر له ملاك من السماء يقويه» لأن التعرض لهذه النقطة يفيد - مع غيره - بـأن المسيح لن يموت على الـصليب لأن الموت - خاصة المتفق عليه بين الآب والابن، كمـا يقولون، لا يحتاج إلى ملاك يقوى المسـيح على تحمله، وإنما المنطقى أن الملاك أرسل إلى المسيح - البشر - ليقـويه على تحمل آلام الـتعليق عـلى الصليب، أى يـقويه على تحمل

عذاب وليس على تحمل موت.. كذلك لم يتعرض التفسير لهذه النقطة لأنها سوف تثير سؤالا قاصما، وهو، من يقوى من؟؟!!!.. كذلك وأن معنى كلمة يقويه هى أنْ يعينه، وهل يحتاج الله إلى إعانة؟

واستكمالا لأمانة البحث نعرض ما أورده القمص ميخائيل مينا - مدير كلية اللاهوت بحلوان - فى كتابه «علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية»، يقول جناب القمص نقلا عن العلامة القس أبو الفرج فى شرحه:

أما قول سيدنا «ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت».. لا يستدل منه أن إرادة الابن غير إرادة الآب، وإنما قال هذا لأنه فى ذلك الوقت أقام نفسه مقام الخليقة نفسها. فكأنه نطق بلسانها لأنه تحمل خطايانا كلها. والدليل على أن إرادتهما واحدة قوله: «صدقونى إنى فى الآب والآب فى» يوحنا ١٤ / ١١.

وإذا علمنا أن كتاب «علم اللاهوت» حائز على تقدير أحبار الكنيسة وعلى رأسهم قداسة البابا المعظم مثلث الرحمات الأنبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الكرازة المرقسية - وقتها - وقد منحه البابا طرس البركة. لَعلِمنا بأن ما ورد بالكتاب يمثل رأى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وتعليقنا على كلام جناب القمص - باختصار شديد - أنه كلام مرسل بدون دليل ولا يسنده نص مقدس، ولا يعدو أن يكون مجرد رأى يحتمل الخطأ والصواب (إذ لا عصمة فى الكنيسة الأرثوذكسية لبشر).

- وعن النص المقتبس من إنجيل يوحنا (١٤ / ١١)، يليه نص فى نفس السفر (١٤ / ٢٠) ورد فيه «فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم».. وفى نفس السفر أيضا (١٤ / ٢٨).. «لأن أبى أعظم منى»... الذى يستفاد منه بأنه لا خصوصية للمسيح فى أنه فى الآب والآب فيه. إذ إنه وبنص الإنجيل، وفى نفس السفر، أن الآب فينا كلنا ونحن فيه.. (٨)

نقاط جديرة بالملاحظة:

يقولون بأن الله قرر قديما إرسال ابنه الوحيد - الأقنوم الثانى فى الثالوث المسيحى - ليبذل نفسه وحياته ودمه ليخلص الجنس البشرى من خطيئة آدم الأولى وبنيه من بعده، كورثة للخطيئة، على اعتبار أن كل من كان من سلالة آدم فهو حامل لجرثومة الخطيئة (هكذا وصفها أحد قساوستهم)، وعند استعراضنا لهذا القول ومراجعتنا لما ورد بإنجيل متى ٢٦ / ٣٦-٤٦، وإنجيل لوقا ٢٢ / ٤١-٤٤ السابق الإشارة إليها صفحة ١٠١ فسيقفز إلى الذهن سؤال.. هل ما زال المسيح يذكر هذا التقدير الأزلى الذى قدره له أبوه - الآب - أو هو قدره لنفسه - على اعتبار أن الآب والابن والروح القدس ذات واحدة؟.. والإجابة لن تخرج عن أحد احتمالين لا ثالث لهما وهما:

١ - المسيح لم ينس هذا التقدير.. وهو ما يجدر به بحكم كونه إلهًا.. بزعمهم.

٢ - المسيح نسى هذا التقدير.

واستكمالا لهذا التحليل نقول:

فى **الحالة الأولى**، والتى فيها أن المسيح لم ينس التقدير. فما معنى حزنه واكتئابه حتى الموت.. وصلاته بأشد لجاجة حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ودعائه للآب أن يجيز عنه ويعفيه من شرب هذه الكأس (الموت) والتى سبق ووافق عليها، أو نقول أنه قررها أزلا بحكم ألوهيته بزعمهم.

نقول، هنا تكون تصرفات المسيح غير لائقة حتى بشخص عادى من البشر، وقد يفسرها البعض بأنها مسرحية لامعنى لها، ولا هدف من ورائها....

فى **الحالة الثانية**، والتى فيها أن المسيح نسى التقدير... نسأل ببراءة، هل يليق هذا بإله؟؟!!.

ومن وجهة نظر أخرى، فإن كتبة الأناجيل أظهروا المسيح بتصرفاته فى بستان جشيمانى بأنه لم يكن فى مستوى الحدث وأنها، أى تصرفاته، وهى الاكتئاب

والحزن حتى الموت والصلاة بأشد لجاجة لدرجة أن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض، إلى آخر حالة الانهيار والضعف، وصلاته ودعائه المتكررين إلى الله بأن يعبر ويجيز عنه شرب كأس الموت ثلاث مرات متتالية، كما ورد فى متى ولوقا، نقول إن هذه التصرفات أظهرت المسيح وكأنه أقل من مستوى أفراد عاديين أقدموا على الموت بشجاعة ورباطة جأش، حيث إنه كان حريصا بشدة على أن لايموت، نقول هل يليق ذلك بإله قدر هو لنفسه أن يموت فداء للإنسانية (على اعتبار أنه وابنه واحد)؟. . ويذكر التاريخ أن القائد الإنجليزى لورد ويلسون، بطل الحرب الذى قال لشبح الموت «شكرا لله. لقد أديت واجبى».

وكذلك الشجاعة التى واجه بها الموت حنابعل (هانيبال - قبل الميلاد) عندما أقدم على الموت بشجاعة (بتناوله السم بنفسه) عندما أيقن بأن الرومان واصلين إليه، وكان من أشد أعدائهم وعرضهم لأشد الهزائم، قبل ذلك. وبصرف النظر عن انتحاره، الأمر المرفوض دينيا، فإن ما وددنا الإشارة إليه فهو الحالة التى واجه بها هانيبال الموت.

* * *

وما نستنتجه من النصوص التى وردت فى إنجيل متى ومرقس ولوقا والمذكورة فى أول هذا الجزء، وإلى التحليل السابق، هو أن:

١ - المسيح لم يكن يعلم بالتقدير الإلهى المفترض، من أن الله الآب قرر منذ الأزل أن يرسل ابنه (الله الكلمة) حتى يكون ذبيحة للتكفير عن خطيئة آدم.

٢ - المسيح لم يكن راغبا فى الموت، وطلب أن تجاز عنه هذه الكأس. . وهذا ما يدل عليه ظاهر النص. . . ولا توجد قرينة صارفة لصرف المعنى عن ظاهره.

أو لنقل أن هذا التقدير الإلهى المفترض لم يكن أبدا.

المسيح على الصليب

يقول يوحنا فى إنجيله ١٩ / ٣١-٣٧:

«فلما أخذ يسوع الخل قال، قد أُكمل، ونكس رأسه وأسلم الروح. ثم إذ كان استعداد، فلكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيما، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا. فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء. والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل، عظم لا يكسر منه».

وبقليل من التفكير نكتشف أن هذا النص من أقوى النصوص التى تثبت أن المسيح لم يمت على الصليب. ولنتناول النص بحيدة وعدل ودون التقيد بأفكار مسبقة (وهذا هو من أبجديات الأسلوب العلمى للبحث)..

بالبحث نجد أن النص يحوى عدة عناصر جديرة بالنظر نوجزها أولا ثم نناقشها بعد ذلك. ولنمض:

أ - «فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح».

ب - «ثم إذ كان استعداد، فلكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت».

جـ - «وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه».

د - «لأنهم رأوه قد مات».

هـ - «لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء».

و - «والذى عاين شهد وشهادته حق».

من المسلسلين (أ، د) قبلا يتضح لنا أن الحكم على موت المسيح تقرر بمجرد النظر «وأسلم الروح»، «رأوه قد مات» وقد تم ذلك بمجرد النظر وعن بعد، حيث إن المسيح كان معلقا على الصليب على بعد حوالى ثلاثة أمتار من الأرض ولم يقس أحدهم نبضه أو يتم الكشف عليه من أخصائى، أى أن قرارهم كان ظنيا وعن بعد ومن غير متخصصين علما بأنه، وحتى فى العصر الحديث حيث التقنيات العالية، عاد كثيرون إلى الحياة بعد القرار بموتهم:

- بنت صغيرة (ماتت) تحكى كيف عادت إلى الحياة بعد ٤ أيام. (ديلى نيوز ١٠ / ١١ / ١٩٥٠).
- تحرك الكفن وأفلت الشاب من الدفن حيا. (صنداى تريبيون ١٣ / ٥ / ١٩٦٢).
- عاد من عالم الأموات بعد الاعتقاد بوفاته بيومين. (بوست ٢٥ / ٧ / ١٩٦٥).
- الجثة تغمز بعينيها لمتعهد الدفن. وبعد كتابة الطبيب لشهادة الوفاة. (ديلى نيوز ٢٥ / ٣ / ١٩٧٥).

(كما وردت بكتاب صلب المسيح للشيخ أحمد ديدات).

وقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٦ / ٩ / ٢٠٠٧، بأعلى الصفحة الثانية، مايلى:

يستيقظ أثناء تشريح جثته

«فى أغرب حادثة، استيقظ رجل فنزويلى يدعى كارلوس كاميجو أثناء تشريح جثته بعد أن أعلن المستشفى وفاته إثر حادث طريق، نقل بعده إلى المشرحة، كارلوس أعلن أنه استيقظ من كثرة الألم بعد أن بدأ الأطباء فى تشريح وجهه. من جانبهم أعلن الأطباء أنهم بدأوا يشعرون بأن هناك خطأ ما عندما بدأ المريض (المعتبر جثة) ينزف فأسرعوا بخياطة الجرح واستدعوا زوجته التى كانت تبكى فراقه». يلاحظ أن نزيف الدم من الجسد يفيد بأن الجسد ما زال حيا.

وقد نـشرت صحيفة الأهرام فى عددها بتاريخ ٣ / ١٢ / ٢٠٠٧ بصفحة ٢٦ (صدق أو لا تصدق)

يحرك يده

«تم إعلان وفاة الأيرلندى فريدى ماكـجوير بأزمة قلبية وعندما هموا بوضعه فى ثلاجة المشرحة حرك يده فأسرع الأطباء بإفاقته».

* نخلص مما سبق بأن قرار موت المسيح لم يكن يقينيًا.

* * *

عن مسلسل ب المذكورة قبلا نقول:

- ورد فى سفر التثنية ٢١ / ٢٣ ما يلى:

«وإذا كان على إنســان خطية حقها الموت فقـتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته، بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيبا».

من أجل ذلك فقد استعجل اليهود موت المـسيح فطلبوا من بيلاطس تكسير أرجله حتى يُنزل بعـد موته من على الخشبة كى لا تنجس أرضهم بسبب أن المعلق ملعون من الله، (ومعنى كلمة ملعون هى أنه مطرود من رحمة الله).

- (استعمل بولس هـذه الواقعة بأن قال فى إحدى رسائله «إن المسيح افتدانا من لعنة الناموس بأن صار لعنة من أجلنا»).

وبصرف النظر عن أن بولس قبِل بأن يـكون إلهه ملعونا (مطرودا من رحمة الله)، وهو المسيح، وقـبل كذلك بأن يكون الناموس لعنة، وقد تحلل من الناموس بصورة شبه كاملة، إلا أن هذه العبارة تستحق مناقشة مستقلة فى موضع آخـر.

* يستفاد من ذلك بأن استعجال اليهود إنزال المسيح من على الصليب تدبير إلهى لنجاته.

* * *

- من مسلسـلى (ج، و) نرى أن العسـكر لم يكسـروا رجلى المسيح لأنهم رأوه قد مات. وقد قام واحد من العـسكر بطعنه بالحربة فى جنبه فخرج دم وماء، ولـنا أن نسـأل أى ميت هـذا الذى يخـرج منه دم ومـاء عند

جرحه؟.. لا يوجد. وأيضا تنبئنا الحقائق العلمية بأن خروج الدم من الجسم دلالة على أن القلب ما زال يعمل، وأن هناك ضغط دم، وأن الجسم مازال حيا...

***

نستنتج من العبارات السابقة بأن المسيح مازال حيا، وأن أرجله سليمة لم تكسر. وهنا لفتة يجب أن لا تغيب عنا، وهى عن عدم كسر أرجل المسيح وفى ذلك إشارة إلى أن المسيح سوف ينجو من الموت لأن بقاء الأرجل سليمة تفيد الحى ولا تفيد الميت. وبقاء الساقين له لحاجته إليهما بعد النجاة من الموت.

***

تبقى عبارة «والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» مسلسل و.. هذا النص لا يستطيع الصمود أمام التحليل العلمى لأن النص لم يبيِّن لنا من هو الذى عاين وشهد؟، وكيف حُكِم على شهادته بأنها حق، وهو شاهد مجهول لا نعلم عنه شيئا حتى نحكم على مدى صدقه؟.. وكيف نؤمن بشهادة شاهد مجهول؟.. علما بأن من صفات الشاهد الصالح المعتبر شهادته أن يكون معلوما ومعروفا عنه الصدق وحسن السيرة. فلا تصلح، مثلا، شهادة شخص مشهور عنه أنه سارق وقاتل وكاذب. أو شهادة شخص مجهول. خاصة أن الاناجيل تخبرنا بأن التلاميذ كلهم تركوا المسيح قبل القبض عليه وهربوا.... «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا» مرقس ١٤ / ٥٠. ومتى ٢٦ / ٥٦.

وبحسب الأناجيل لم يشهد تعليق المسيح على الصليب أو وضعه فى المقبرة سوى مريم المجدلية وبعض النسوة. ولم تسجل لنا الأناجيل أى شىء على لسان أى منهن (سوى ما ورد على لسان المجدلية بعد اكتشاف خلو القبر من جسد المسيح).

***

هناك عبارة وردت فى إنجيل مرقس، وغيره، وهى:

«ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفى الساعة التاسعة، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا، إلوى إلوى لم شبقتنى، والذى تفسيره، إلهى إلهى لماذا تركتنى. فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا، هو ذا ينادى إيليا» ١٥ / ٣٣-٣٥.

ونود أن نسأل، من ينادى من؟.. هل ينادى الإله نفسه؟.. أم أن الناسوت، ينادى اللاهوت الذى تركه ليصلب!!.....

وفى هذه الحالة فإن الناسوت هو الذى صلب وحده. وعليه فإن الفداء لن يكون صالحا، لأن من شروطهم للفادى هو أن يكون لا محدود.

ألا يحق لنا فى هذه المرحلة أن نتصور ونفترض أن العناية الإلهية هى التى سيرت الأمور ووجهتها إلى الوجهة التى تؤدى إلى نجاة المسيح من الموت على الصليب:

١ - استعجال اليهود فى إنزال المسيح من على الصليب خوفا من اللعنة (مكث فقط ثلاث ساعات) وهى مدة غير كافية للموت.

٢ - عدم تكسير أرجل المسيح ظنا منهم أنه قد مات.

٣ - استلام يوسف الرامى ونقوديميس - وهما من تلاميذ المسيح المتخفين - لجسد المسيح وتكفينه وبالطبع سرًّا عندما اكتشفوا أن المسيح لم يمت على الصليب، ولم يذيعوا السر وتكتموه.

* * *

ثانيا: نبوءات الكتاب المقدس

لقد حرص كتبة الأناجيل على الربط بين ما كان من أمر المسيح. وما رأوه نبوءات سبق أن تكلم بها أنبياء العهد القديم عن ما سوف يكون من أمر المسيح. ولقد كان متى هو أكثر كتبة الأناجيل استشهادا بما رآه نبوءات عن المسيح. ولنناقش لنرى مدى توفيق متى وغيره فى ذلك من عدمه:

١ - «حينئذ تم ما قيل **بإرميا** النبى القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب» متى ٢٧/ ٩.

ويقول جون فينتوى، عميد كلية اللاهوت بليشفيلد بإنجلترا فى كتابه تفسير إنجيل متى:

«يتفق علماء المسيحية على أن الخطأ فى هذه الشهادة ظاهرا، إذ إن هذه الفقرة من سفر زكريا ١١ / ١٢ وما بعدها. وليست من سفر أرميا».

٢ - «وأتى (يسوع) وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة. لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا» متى ٢ / ٢٣.

إن متى أخطأ فى هذه النبوءة خطأ فادحا وأيضا كاشفا لطريقة كتابة الأناجيل!!

عن هذه النبوءة يقرر جون فينتوى: «بأن أسفار الأنبياء لم تقل شيئا من هذا. وأن علماء المسيحية متفقون على أن مصدر هذه النبوءة غير معلوم. وأن أسفار الأنبياء خالية تماما من مثل هذه الشهادة»!!!!

ونستعرض - استكمالا للبحث - ما قاله التفسير التطبيقى للكتاب المقدس عن هاتين النبوءتين:

١ - عن النبوءة الأولى - نبوءة إرميا - (متى ٢٧ / ١-١٠) يقول التفسير في صفحة ١٩٦٤ ما نصه:

«وردت هذه العبارة بصورة خاصة فى نبوءة زكريا ١١ / ١٢-١٣، ولكن **يحتمل** أنها قد أخذت من إرميا ١٧ / ٢-٣، ١٨ / ١-٤، ١٩ / ١-١١ أو ٣٢ / ٦-١٥..(٩).

٢ - عن النبوءة الثانية (متى ٢ / ٢٣) يقول التفسير فى صفحة ١٨٧٠ ما يلى:

«لا يسجل العهد القديم، بصورة محددة، هذه العبارة - سيدعى ناصريا - ومع هذا فكثيرون من العلماء يعتقدون أن متى كان يشير إلى نبوءة غير مدونة بالكتاب.. وعلى أى حال، لقد قدم متى صورة للرب يسوع باعتباره المسيح الحقيقى، الذى تكلم عنه الله من خلال أنبيائه، وواضح أن يسوع المسيح بدأ بداية غير متوقعة، إذ كانت بداية متواضعة كما تنبأ عنه العهد القديم (انظر متى ٥/ ٢).... انتهى كلام التفسير.

ولنا وقفة قصيرة نستجلى فيها ما قاله التفسير التطبيقى للكتاب المقدس فنقول:

أولا: عن نبوءة إرميا:

عبارة (**ولكن يحتمل**) تعطينا انطباعا بأن بعض ما ورد فى الكتاب المقدس للنصارى، احتمالى، وليس يقينيا. لأن كلمة يحتمل، هى كلمة متساوية الطرفين، فهى تتسع لهذا الاحتمال ولخلافه. ومن ثم فإن ذلك وأشباهه كاف لإسقاط حجية الكتاب ولا يمكن إسباغ صفة التقديس عليه.

- أيضا وبالنظر فى متى ٥ / ٢-٣. والتى أشار إليها التفسير وطلب منا الرجوع إليها نجد أنها تقول:

«٢ ففتح فاه وعلمهم قائلا: ٣ طوبى للمساكين بالروح».

وهذه الفقرة لا تمت للموضوع بأدنى صلة!!!.

- أيضا عن الأعداد التى قال التفسير باحتمال أخذ النبوءة منها وهى: إرميا ١٧ / ٢-٣، ١٨ / ١-٤، ١٩ / ١-١١ أو ٣٢ / ٦-١٥. فباستعراض هذه الأعداد لن نجد أدنى علاقة بينها وبين موضوع النبوءة.

ثانيا: عن نبوءة متى ٢ / ٢٣. «سيدعى ناصريا»:

يقر التفسير بأن متى كان يشير إلى نبوءة غير مدونة فى الكتاب، وهذا رأى كثير من العلماء (يلاحظ أن هذا الأمر لا يحتاج إلى رأى علماء، حيث إنه بالفعل غير موجود بالكتاب)... وحيث إن النبوءات هى إخبار عن غيب، فهى صادرة عن الله. وعدم وجودها بالكتاب يفيد بأن بعضا من كلام الله لأنبيائه غير مدون بالكتاب... [وهذا بشهادتهم هم].

* أيضا وبالرجوع إلى متى ٥ / ٢، والتى طلب منا التفسير بالرجوع إليها، نجد أنها تقول:

«فتكلم وأخذ يعلمهم. فقال:».

وهذه الفقرة لا تمت لموضوع النبوءة بصلة.

** يستفاد مما ذكر فى النبوءتين (متى ٢٧ / ٩-١٠، متى ٢ / ٢٣) من خطأ فى النقل أو لنقل فى التذكر، ومن الادعاء بنبوءات غير موجودة فى أى كتاب، بما يفيد أنها مؤلفة.. لا نريد أن نقول أنها ملفقة.. نقول يستفاد مما ذكر بأن كتب النصارى كانت تكتب من الذاكرة، ولم يكن هناك ثمة وحى أو إلهام. (ولا يمكن فهم هذه الأغلاط على أنها خطأ من الناسخ أو المترجم.

وإن كان هذا الموضوع ليس مكانه هنا، ويكتب فيه الكثير الذى ليس هنا مكانه، فإننا سنكتفى بذكر مثالين اثنين فقط:

أ - أقر القديس أغسطينوس فى رسالته التاسعة عشرة إلى يرينيموس بهذه الأغلاط، حيث قال:

«إننى قد تعلمت أن أسدى الورع لتلك الكتب التى تسمى قانونية. حتى أنى أؤمن مصدقا أن الذين كتبوها لم ينغشوا فى شىء مما كتبوه. وأما إن كنت ألاحظ أن فى تلك الكتب موجود شىء يظنونه مناقضا فإنى لن أرى شيئا آخر فى ذلك سوى أنه قد يكون وقع سهوا من الناسخ، أو أن المترجم لم يفهم معنى ما قد قيل. أو أنى أنا لم أفهم ذلك»!! انتهى.. (١٠)

من كتاب «علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية» للعلامة المتنيح القمص، ميخائيل مينا، مدير كلية اللاهوت بحلوان.

إذا أضفنا إلى الأخطاء المحتملة التى قد يقع فيها الناسخ أو المترجم، [بإقرار كبرائهم].. نقول إضافة إلى ذلك، أنه لا يوجد أصل لهذه الكتب يمكن مراجعة النسخ المنسوخة والمترجمة عليها، وبناء على ذلك فإن الثقة فى هذه الكتب منزوعة.

ب - كتبة هذه الكتب لم يدع أحد منهم بأنه يكتب بإلهام من الروح القدس، بل قالوا بصراحة بأنهم يكتبون مما سمعوه وسلم إليهم من الذين تابعوا الأمر من أوله، ولم يحددوا من هم هؤلاء الذين تابعوا الأمر من أوله حتى نقف على مدى صدقهم ونزاهتهم، ويمكن أن نراجع فى هذا الصدد مقدمة إنجيل لوقا الذى يقول:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك على التوالى أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به» لوقا ١ / ١-٤.

يلاحظ فى ذلك بأن:

- لوقا نفسه غير معروف وغير متيقن من شخصيته.

- لم يقل لوقا أنه يكتب بشارة أو أنه مسوق من الروح القدس. وإنما قال إنه يؤلف قصة فى الأمور المتيقنة لديه، كما يفعل الأخرون.

- أتعب علماء المسيحية أنفسهم لمعرفة من هو ثاوفيلس هذا الذى استلم هذا الخطاب من لوقا ولم تفلح محاولاتهم.

- لم يقل لنا آباء الكنيسة الأوائل كيف وصلتهم نسخة خطاب (أو إنجيل) لوقا. ماداموا لم يهتدوا إلى شخصية ثاوفيلس. وكيف عرفوا أن ثاوفيلس هذا، أو أن الذى سلمهم هذا الإنجيل لم يغير فيه.

* * *

** ومن العجيب أن كتبة الأناجيل اقتبسوا من العهد القديم - خاصة المزامير - نصوصا افترضوا أنها نبوءات تخص المسيح واستدلوا بها فى مجملها على ألوهية المسيح وموته على الصليب. ومصدر العجب فى ذلك:

أ - اضطروا لتحريف بعض كلمات وردت فى العهد القديم بأن ذكروها مخالفة لحقيقتها. لمحاولة تطويع النص لخدمة أغراضهم

ب - الأعجب من التحريف، وهذا التحريف، قد يكون مفهوما ومألوفا فى كتاباتهم مع أنه غير شريف، إلا أن غير المفهوم هو أنهم اقتبسوا من العهد القديم نصوصا كنبوءات لإثبات صلب المسيح فإذا بها تثبت عكس ما أرادوا إثباته. ولنرى كمثال للتحريف.

يقول متى: ١٢ / ١٧-٢١:

«لكى يتم ما قيل بأشعيا النبى القائل، هو ذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سرت به نفسى، أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق، لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يُطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم».

وبمقابلة ذلك بما ورد بسفر أشعياء المشار إليه:

«هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرّت به نفسي. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمِعُ فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته» سفر أشعيا ٤٢ / ١-٤.

وبالمقابلة بين النصين يتضح أن:

- المشار إليه بسفر أشعيا هو عبد لله (عبدى). وقد حافظت الترجمة الإنجليزية المعتمدة - لنفس الفقرة - على الكلمة كما هى (خادمى أو عبدى) my servant.
- تم تغيير الكلمة فى الترجمة العربية لإنجيل متى من عبدى إلى فتاى.
- الكلمة مازالت فى الترجمة العربية لسفر أشعيا هى عبدى.

* * *

أما عن النصوص التى اقتبسوها من العهد القديم لإثبات صلب المسيح (موته على الصليب) فلنر عينات وافية منها (باقى النبوءات كثيرة ولكنها تفيد نفس المعانى):

٣ - يقول يوحنا فى إنجيله ١٣ / ١٨:

«أنا أعلم الذين اخترتهم، ولكن ليتم الكتاب، الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه».

يشير المسيح [بزعمهم] فى هذا النص إلى خيانة يهوذا الذى سوف يسلمه لأعدائه ليصلبوه.

يشير يوحنا بذلك إلى ما ورد بالمزمور ٤١:

«طوبى للذى ينظر إلى المسكين، فى يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه، يغتبط فى الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه. الرب يعضده وهو على فراش الضعف.... رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه. أما أنت يارب فارحمنى وأقمنى فأجازيهم. بهذا علمت أنك سررت بى أنه لم يهتف علىّ عَدُوّى. أما أنا فبكمالى دعمتنى وأقمتنى قُدّامك إلى الأبد».

ويقول المفسرون فى مقدمة هذا المزمور - فى نسخة الملك جيمس. أنه يقرر ثلاثة أمور:

- عناية الله بالمسكين.

- وشكوى داود من خيانة أعدائه.

- ثم هو يلجأ إلى عون الله.

ويبدأ المزمور بتقرير أن الله حافظ عبده، ولن يسلمه إلى مرام أعدائه الذين يريدون موته.

٤ - يقول يوحنا على لسان المسيح:

«أما الآن فقد رأوا وأبغضونى، لكن لكى تتم الكلمة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب» إنجيل يوحنا ١٥ / ١٤-٢٥.

ويوحنا فى ذلك يشير إلى ما ورد بالمزمور رقم ٣٥ إذ جاء به:

«خاصم يا رب مُخاصمىَّ، قاتل مُقاتلىّ، أَمسِك مِجنًّا وتُرْسًا وانهض إلى معونتى، وأشرع رمحا وصُد تِلقاءَ مُطارِدِى، قل لِنفسى خلاصُك أنا، ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى، ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى، ليكونوا مثل العُصافة قدام الريح، وملاك الرب داحرهم، ليكن طريقهم ظلاما وزلقًا وملاك الرب طاردهم، لأنهم بلا سبب أخفوا لى هوة شبكتهم. بلا سبب حفروا لنفسى.... لتأته التهلكة وهو لا يعلم. ولتنشب به الشبكة التى أخفاها

وفى التهلكة نفسها ليقع. أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه. . . . لا يشمت بى الذين هم أعدائى باطلا ولا يتغامز بالعين الذين يبغضوننى بلا سبب. . . . فغروا علىّ أفواههم. اقض لى حسب عدلك يا رب إلهى فلا يشمتوا بى. . . . لا يقولوا ابتلعناه. . ليخز وليخجل معا الفرحون بمصيبتى ليهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائما ليتعظم الرب المسرور **بسلامة عبده**».

وإن تعجب فعجبٌ قولهم أن هذا المزمور كان نبوءة عن المسيح. . وبعد ذلك يقولون بأنه مات على الصليب!! ونسوا أو تناسوا أن المزمور يتكلم عن:

- عبدٌ أحاط به مخاصموه ومقاتلوه.

- استنجد العبد بالله.

- أرسل له الله ملاكا يقويه ويقف معه ضد أعدائه (قد يكون هذا الملاك هو الذى أُرسل للمسيح ليقويه وذلك قبل القبض عليه ببستان جشيمانى كما جاء بلوقا ٢٢ / ٤٣).

- أخيرا. . . سر الرب بسلامة عبده. . .

أى وضوح أكثر من هذا يريدون. لأن الإنسان مهما بلغت مداركه يستطيع أن يفرق بين عبد يسر الرب بسلامته وبين إله يموت على الصليب.!!!

٥ - يقول يوحنا فى إنجيله ١٩ / ٣١-٣٦:

«وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء. والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم. . لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه».

لقد تمت مناقشة هذه العبارة قبلا كنص ورد بإنجيل يوحنا ولم تتم مناقشتها كنبوءة من العهد القديم. والآن يمكن أن نقول:

يشير يوحنا بهذه العبارة إلى ما ورد بالمزمور (٣٤) وهو:

«٤ طلبت إلى الرب **فاستجاب لى** ومن كـل مخاوفى أنقـذنى. نظروا إليه واستنـاروا. ووجوهم لم تخـجل. هذا المسـكين صرخ والرب **استـمعه ومن كل ضيـقاته خَلّصه. ملاكُ الرب حـال حول خائفـيه وينجيهم**. . . ١٥ عينا الرب نحو الـصدِّيقين وأذنـاه إلى صراخهم. وجهُ الـرب ضد عامل الشـر لِيُقطع من الأرض ذكرهم. . أولئك صرخوا والرب سمع **ومن كل شدائدهم أنقذهم** . . ١٩ كثيرة هى بلايا الصديق **ومن جميعها ينجيه الرب**. يحفظ جميع عظامه واحد منه لا ينكسر. الشـر يميت الشرير ومبغـضو الصديق يعاقبـون. الرب فادى نفوس عبيده وكل من اتكل عليه لا يعاقب».

يؤكد أيضـا هذا المزمور أن العبد المسـكين صرخ والرب استمعه وخلصه من كل ضيـقاته. ومرة أخـرى، أيضا، ملاك الـرب حال حول خـائفيه ويـنجيهم. . ويجوز لنا أن نصف **ملاك الرب** هنا بأنه هـو الملاك الذى أرسله الرب إلى المسيح ليقويه وهو بضيعة جشيمانى وما زال ملازما له.

٦ - المزمور ٢٢:

من أكثر المزامير استـعمالا بمعرفة كتبة العهد الجديد وصفا لحالة المسيح. فقد استشـهد به متى فى ٦ / ١٣، ٢٧ / ٤٣ -٤٦ ومرقس فى ١٥ / ٢٤، ٢٩، ٣٤. ولوقا فى ٢٣ / ٣٥ ويوحـنا فى ١٤ / ٢٤ وبولـس فى رسالته للعبرانيين ٢ / ١٢، ٥ / ٧. واستخدم أيضا فى مواقع أخرى. . ويسجل هذا المزمور الآتى:

- «إلـهى إلهى لماذا تركـتنى بعيـدا عن خلاصى عن كلام زفيرى. إلهى فى الـنهار أدعو فلا تستجـيب، فى الليل أدعو فلا هدو لى. وأنت القدوس الجالس بين تسـبيحات إسرائيل. علـيك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا **فنجوا**. عليك اتكلوا **فلم يخزوا**.

- «أما أنا فدودة لا إنسان. عارٌ عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي يفغرون الشفاة ويـنغضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجيه لينقذه لأنه سر به. لأنك أنت جذبتنى من البطن. جعلتنى مطمئنا على ثدييّ أمي. عليك أُلقيت من الرحم. من بطن أمى أنت إلهى» ١-١١.

- «لأنه قد أحاطت بى كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدى ورجلى، أُحصِيَ كلِ عظامى، وهم يـنظرون ويتفرسون فيّ. يقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون» ١٦-١٧.

- «أما أنت يارب فلا تبعد. يا قوتى أسرع إلى نصرتى. أنقذ من السيف نفسى. من يد الكلب وحيدتى. خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لى». ١٩-٢١.

- «أخبر باسمك إخوتى. فى وسط الجماعة أسبحك. يا خائفى الرب سبحوه. مجدوه يا معشر ذرية يعقوب. واخشوه يا زرع إسرائيل جميعا. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمع. ٢٣-٢٤.

يقول دنيس إريك نينهام - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل- فى تفسيره لإنجيل مرقس عن هذا المزمور ما يلى: «إننا لو أخذنا هذا المزمور ككل، فإنه لا يعدو أن يكون صلاة لعبد بار يعانى آلاما، إلا أنه يثق تماما فى حب الله له، وحفظه من الشر. وهو مطمئن تماما لحمايته خاصة ألآيات ١٩-٢١، ٢٣-٢٤، ٢٦ . .بل عند صراخه إليه استمع».

(من كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب)

كذلك يورد رحمة الله خليل الرحمن الهندى فى كتابه - إظهار الحق - بأن عبارة «ثقبوا يدى ورجلى» المذكورة فى التراجم الشائعة لا توجد فى الأصل

العبـراني [يعتبر أصل مـجازًا] ولكن يوجد بدلا منـه «كلتا يدى مثل الأسد»... (موقع من مواقع التحريف).

- كذلك يتضح من هذا المزمور أن الله استجاب لدعاء العبد الصالح، مما لا يستقيم معه القول بأن المسيح قد مات على الصليب.

كذلك استشهـد كتبة الأناجـيل بمزامير عدة يمـكن لمن أراد التوسع أن يطلع عليها في كتاب «المـسيح فى مصادر العقائد المسيحية» للمهندس أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة.

***

ويستحسن قبل ترك هذه النقطة أن نستعرض ما أورده متى فى إنجيله٤/٥-٦:

«ثم أخذه إبليس إلى المدينـة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك».

ومتى يشير هنا إلى المزمور رقم ٩١ الذى يقول:

«لأنك قلت يارب ملجأى. جعلت العلى مسكنك. لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك. لأنه يوصى ملائكته بك لكى **يحفظوك فى كل طرقك**. على الأيدى يحمـلونك لئلا تصـدم بحجر رجـلك. على الأسد والصل تـطأ. الشبل والثعبان تدوس. **لأنه تعلق بى أُنجّيه. أرفّعُهُ لأنه عرف اسـمى. يدعونى فأستجيب له.معه أنا فى الضيق. أنقذه وأُمجِّدُه**. من طول الأيام **أُشْبِعُهُ وأريه خلاصـى**».

يعتبر هذا المزمور من أوضح النبوءات التى تؤكد على:

١ - سلامة المسيح فى كل الأحوال (يحفظونك فى كل طرقك)..

٢ - أن الله يستجيب له عـندما يدعوه...ويكون معه فى الضيق (وقد كان المســيح فى الضيق ودعـا الله أن يـجيز عـنه هذه الكـأس وظل يدعو

ويصلى ويبكى إلى درجة أن كانت دموعه كقطرات دم نازلة على الأرض) - إنجيل متى ٢٦ / ٣٦-٤٦، إنجيل مرقس ١٤ / ٣٥-٣٦، إنجيل لوقا ٢٢ / ٤١-٤٤ - وقد عرضنا وتعرضنا لهذه الأعداد قبلاً . . .

٣ - أن الله سوف يشبع المسيح من طول الأيام بعد أن يخلصه من أيدى أعدائه. **أى أن عمره سيطول.**

أيضا هناك نقطة يجب أن لا تترك دون نظر وهى ما ورد بالمزمور ٢٠ / ٦ إذ ورد:

«**الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه**، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه».

هل هناك أوضح ولا أجلى من ذلك!!! . . نقول إن إعمال العقل واجب.

* * *

هذا قد يؤكد أن المسيح بعد أن نجاه الله من الصلب (الموت على الصليب) عاش مدة طويلة . . . ويقول بعض العلماء بأنه ذهب إلى شرق آسيا التى تسمى الآن كشمير والهند وفارس . . . إلخ . . ويستدلون على ذلك بما ورد فى إنجيل يوحنا ١٠ / ١٦:

«ولى خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد».

ويعضدون فرضهم بأن نبوخذ نصر سبى اليهود إلى بابل، ولما حررهم كورش لم يرجع إلى فلسطين إلا سبطين هما يهوذا ولاوى، أما باقى الأسباط الاثنى عشر فلم يرجعوا إلى فلسطين وإنما اتجهوا إلى ممالك فارس التى كانت تمتد إلى شرق آسيا.

ويؤيد ذلك أيضا ما ذكره بولس فى إحدى رسائله:

«أما الأخوة فى آسيا فقد انصرفوا عنى».

ملحوظة: لا يوجد نص مقدس يؤكد هذه الفرضية. بمعنى أنها قد تصح أو يصح خلافها.

***

يتضح من استعـراض ما أراده كتبة الأناجيل أن يكـون نبوءات العهد القديم عن المـسيح - وقد تكون هذه النـبوءات كذلك إذ لا يوجد ما يمنع ذلك، حيث إن تسلسل الأديـان يقبل ذلك - نقول.. يتضح من اسـتعراض هذه النبوءات أنها فى إجمالها تتحدث عن:

١ - عبد فى محنة.

٢ - يدعو الله أن يعبر عنه هذه المحنة ويقبل حكمه.

٣ - يرسل له الله ملاكا من السماء يقويه.

٤ - يخلصه فى النـهاية من محنته (الآن عـرفت أن الله مخلص مسيحه - كما وردت فى مزمور ٢٠ / ٦ كما ذكر سابقا.

ومن لا يقبل هذا التحليل فعليه بإعادة قراءة هذا الفصل. وإذا لم يقبل أيضا بعد ذلك فهذا شأنه..

***

أيـة يونـان النبـى

فى هذا المجال لا ينبغى أن يفوتنا مناقشة آية يونان النبى.

. يقول متى فى إنجيله ١٢ / ٣٨-٤٠:

«حينئذ أجاب قـوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفـاسد يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النـبى. لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثـة أيام وثلاث ليالى، هكذا يكـون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالى».

يجب قبل الولوج فى هـذه النقطة أن نؤكد ونبين أن معنى آية، هو معجزة، والمعجزة هى شىء خارق للعادة.

بالطبع فإن أتـباع الديانات الثلاث -اليهوديـة والمسيحية والإسلام - يعرفون جيدا قصة يونان النبى والتى تتلخص فى:

١ - أُلقى يونان فى البحر الهائج (وهو حى ولم يمت)... وهذه معجزة.

٢ - ابتلعه الحوت (وهو حى لم يمت)... وهذه معجزة أكبر.

٣ - ظل فى بطن الحوت ثلاثـة أيام وثلاث ليالى حـتى لفظه الحوت (وهو حى ولـم يمت).. وهذه معجزة أكبر وأكبر.

وبالبحث عن مدى التشابه بين يونان النبى والمسيح نجد:

أ - المـسيح لم ينزل إلى قلب الأرض وإنمـا فى غرفة على سطح الأرض.. والتى ما زالت قـائمة حتى الآن. فلا يـوجد تشابه بـين المسيح ويونان النبى من هذه الوجهة.

ب - بشىء من الحساب البـسيط، نجد أن المسيح لم يمـكث فى القبر سوى يوم وليلـتين (أُدخل فى القبر بـعد غروب شمس الجـمعة وقبل شروق شـمس الأحد لم يكن فى المقبرة) أى أنه لم يمـكث فى القبر سوى ليلة

السبت ويوم السبت وليلة الأحد - أى يوم وليلتان -).. فلا يوجد أيضا تشابه بين المسيح ويونان النبى من هذه الوجهة أيضا.

أى أنه لا يوجد تشابه بين المسيح ويونان النبى لا فى مسألة الوقت (ثلاثة أيام وثلاث ليالى). ولا فى مسألة باطن الأرض.. كذلك وحتى لو كان هناك تشابه فى أى من جهة الوقت أو باطن الأرض فإن أيا منهما لا يعتبر معجزة.. فأى معجزة فى أن يبقى إنسان فى مقبرة ثلاثة أيام وثلاث ليالى. أو أن يوضع فى قلب الأرض؟.

لم يبق سوى أن يكون التشابه هو فى الكيفية التى بقى عليها جسد المسيح فى المقبرة. والحالة التى بقى عليها جسد يونان فى باطن الحوت، وكما كان يونان فى بطن الحوت حيا، فكذلك المسيح ظل فى المقبرة حيا. وفى ذلك فقط إعجاز كبير.... **فقط لأولى الألباب**.

***

ثالثا: موقف بيلاطس

يقول متى فى إنجيله:

١ - «ففيما هم مجتمعون قال لـهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم، باراباس أم يسوع الذى يُدعى المسيح. لأنه علم أنهم سلموه حسدًا» ٢٧ /١٧-١٨.

٢ - «وإذ كـان جالسـا على كرسـى الولاية أرسـلت له امرأته قائـلة: إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجلـه» ٢٧ / ١٩.

٣ - «قال لـهم بيلاطس فـماذا أفعل بـيسوع الـذى يدعى المـسيح: قال له الجميع لـيصلب. قال الـوالى وأى شر عمل، فكـانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب. فلـما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخـذ ماء وغسل يـديه قدام الـناس قـائلا إنى برىء من دم هذا الـبار. أبصروا أنـتم. فأجاب جـميع الشعب وقـالوا دمه علـينا وعلى أولادنا» ٢٧ / ٢٢-٢٤.

يقول لوقا فى إنجيله:

١ - «ودعا بـيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسـد الشعب. وها أنا قد فحصت قدامكم ولـم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضا لأنى أرسلته إليه. وها لا شىء يسـتحق الموت صُنع منه. فأنا أؤدبه وأطلقه» ٢٣ / ١٣-١٦.

٢ - «فنـاداهم أيضا بيلاطس وهـو يريد أن يُطـلِق يسوع. فصـرخوا قائلين اصلبه اصلبه. فقـال لهم ثالثة أى شر عـمل هذا. إنى لم أجد فيه علة للموت. فأنا أؤدبه وأطلقه» ٢٣ / ٢٠-٢٢.

يقول يوحنا فى إنجيله:

«فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم. فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا. ليتم قول يسوع الذى قاله، مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت» ١٨ / ٣١-٣٢.

يقول مرقس فى إنجيله:

«ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذى من الرامة مشيرا شريفا وكان هو أيضا منتظرا ملكوت الله، فتجاسر ودخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا» ١٥ / ٤٢-٤٤.

وعجب بيلاطس فى النص المقتبس من إنجيل مرقس كان لأنه من واقع خبرته والتجارب التى مرت به، أن التعليق على الصليب لمدة ثلاث ساعات دون استعمال الكورافراجيوم - هراوة تكسير العظام - غير كاف للموت -. . والدليل أيضا أن اللصين المعلقين مع المسيح كانا أحياء عند مرور العسكر بالهراوات فتم تكسير أرجلهما ولم يتم ذلك مع المسيح. . وكما بينا قبلا أن التأكد من وفاة شخص ما زال يحدث بها أخطاء حتى فى وقتنا هذا برغم التقدم العلمى المذهل الذى حدث.

يقول متى فى إنجيله:

«وفى الغد بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين، يا سيد قد تذكرنا أن هذا المضل قال. . . . فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه. . . . . فقال لهم بيلاطس عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر» ٢٧ / ٦٢-٦٥.

مما سبق عن بيلاطس يمكن أن نستنتج الآتى:

١ - بيلاطس لم يكن راضيا عن قتل المسيح، وكان يتمنى أن لا يحدث ذلك ويظل المسيح حيا.

٢ - بخبرته فى مثل هذه الأمور، لم يقبل موت المسيح بعد ثلاث ساعات فقط من تعليقه على الصليب، ولم يرد أن يثير زوبعة على ذلك ويطلب التأكد من موت المسيح على الصليب، لأنه ما كان يتمنى موته بل كان يتمنى عكسه.

٣ - الحلم الذى أرسلت إليه امرأته تخبره به والخاص بالمسيح قوى عنده الرغبة فى تمنى عدم موت المسيح على الصليب ولم يرد أن يشارك حتى فى حراسة القبر.

* * *

رابعاً: مريم المجدلية ويوسف الرامى ونيقوديمس

يقول مرقس فى إنجيله:

- «ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف وكان هو أيضا ينتظر ملكوت الله. فتجاسر ودخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع» ١٥ / ٤٢-٤٣.

- «فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع» ١٥ / ٤٦-٤٧.

- «وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه. وباكر جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس» ١٦ / ١-٢.

يقول يوحنا فى إنجيله فى نفس الواقعة:

- «ثم إن يوسف الذى من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود. سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن بيلاطس. فجاء وأخذ جسد يسوع. وجاء أيضا نيقوديمس الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا. فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا» ١٩ / ٣٨-٤٠.

- «وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر» ٢٠ / ١.

نظرا للتضاد والتنافر الشديدين بين روايات الأناجيل عن الذى حدث فى الفترة ما بين وضع المسيح فى القبر، بعد إنزاله من على الصليب، . . والتى سوف يتم مناقشتها فى باب بعد الخروج من القبر، . . نقول نظرا لهذا التضاد والتنافر، فإنه يصعب الاعتماد على أى رواية من هذه الروايات. فقط نستطيع أن نفترض:

١ - أن نيـقوديمـوس ويوسف الذى من الـرامة ومريم المجـدلية لم يـكونوا راضين عن قتل المـسيح، وكانـوا يتمـنون نجاته. . . . . وأيـضا كانوا أقرب الـناس إلى المسيح بعد إنزاله من عـلى الصليب (الأناجيل ذكرت بأن جميع التلاميذ قبل الـقبض عليه تركوه وهربوا). وقد يكون الثلاثة (مريم المجـدلية ويوسف الرامى ونيقوديمس) اكتشفوا أن المسيح أُنزِل من على الصليب حيا. لأنهم ربمـا جسوا نبضه أو أحسوا بحرارة جسده أو لاحظوا أنه مـا زال يتنـفس. . وبالطـبع كتمـوا السز - لأن هذا شيء وضح أنهم كـانوا يتمنونه - وقد قام يوسف الذى من الرامة ونيقوديمس - أو الثلاثة - ليلا بمـداواة المسيح بعد إخـراجه من الكفن حيث تركوا الكفن فى القبـر.

٢ - إن زيارة مريم المجدلية للقبر صـباح الأحد كانت للاطمئنان على حالة المسيح، وعملية دهـانه لم تكن عادة يهودية أن يقوموا بدهان الميت بعد مرور ثلاثـة أيام على موته لأن الجسد يكون بعد مرور هذه المدة متحللا داخليـا ويتمزق بمـجرد دعكه. وخاصـة أن الأناجيل تخـبرنا بأن عادة اليهود هو التـطييب (الدهان بالطيب) مع التـكفين - كما يخبرنا النص المستقطع من إنجيل يوحنا ١٩ / ٤٠ والذى تم ذكره قبلا.

فى ضوء ما تقدم فى الفصول السابقة وفى هذا الفصل يمكن أن نقوى صحة هذيـن الفرضيـن (١، ٢) أعلاه.

* * *

خامسا: من دحرج الحجر

سؤال بديهى يخطر على أبسط عقل. . .من دحرج الحجر؟

لو نظرنا إلى روايات الأناجيل الثلاثة المتوافقة (متى - مرقس - لوقا) والإنجيل الرابع (يوحنا) وذلك فى وصف الفترة ما بين وضع جسد المسيح فى القبر وحتى خلو القبر من جسد المسيح مع بقاء الكفن والمنديل بالقبر. على الرغم من الاختلافات الكثيرة والواضحة فيما بين الأناجيل (وحتى المتوافقة)، والتى تكفى لإسقاط حجية بعضها أو كلها. .

سوف نضع أمامنا الاعتبارات الآتية:

- آباء الكنيسة يقولون بأن كتبة الأناجيل كتبوها بوحى من الروح القدس (الله بزعمهم) - الكتبة كتبوا وهم مسوقون من الروح القدس.

- الوحى تم بالمعنى وكل كاتب كتب بأسلوبه الخاص.

يستتبع ذلك أن الأناجيل فى الواقعة الواحدة يجب أن تتفق فى المعنى مع جواز اختلافها فى أسلوب التعبير عن الواقعة.

كذلك فإن وجود اختلاف بين روايتين للواقعة الواحدة، يسقط حجية رواية من الروايتين أو يسقطهما معا، إذا لم يكن هناك ما يرجح أحد الروايتين.

ولنتابع معا:

أ - إنجيل متى ٢٨ / ١-٢:

«وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه».

ب - إنجيل مرقس ١٦ / ١-٥:

«وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه. وباكر جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت

الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج. لأنه كان عظيما جدا. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء».

جـ - إنجيل لوقا ٢٣ / ٥٥-٥٦:

«وتبعنه نساء كن قد آتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده. فرجعن وأعددن حنوطا وأطيابا. وفى السبت استرحن حسب الوصية».

إنجيل لوقا ٢٤ / ١-٤:

«ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس. فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر. فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة».

د - يقول يوحنا فى إنجيله ١٩ / ٣٨-٤٠:

«ثم إن يوسف الذى من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود. سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن بيلاطس. فجاء وأخذ جسد يسوع. وجاء أيضا نيقوديمس الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا. **فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا**».

إنجيل يوحنا ٢٠ / ١-:

«١ وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق. فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه. فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معا. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر ٥ وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. ثم جاء سمعان يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان

موضوعة. . . . ٨ فحينئذ دخل التلميذ الأخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن. . . . . ١١ أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا. ١٣ فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين. . . . . . .».

بمراجعة الروايات السابقة من الأناجيل عن الواقعة الواحدة نرى أن الأناجيل الأربعة اتفقت على:

١ - الحجر دحرج عن القبر بواسطة قوة خارجية، سواء الملاك أو غيره.

٢ - مريم المجدلية كانت أول من ذهب إلى القبر (سواء منفردة كما فى يوحنا أو مع آخرين مبينة أسماؤهم كما فى متى ومرقس. أو مُجّهلين كما فى لوقا)

٣ - الجسد لم يكن موجودا بالقبر صباح الأحد (أول الأسبوع).

٤ - الكفن كان موجودا بالقبر وكذلك منديل الرأس.

- انفرد متى فى حدوث الزلزلة ونزول الملاك وزحزح الحجر أمام النسوة وجلس عليه.

- لم يتحدث متى عن الحنوط.

ويمكن ملاحظة الآتى:

- الجسد الذى كان فى المقبرة، كان فى حاجة إلى من يزحزح له الحجر حتى يستطيع أن يخرج من القبر.

- نزل ملاك من السماء وكان عند القبر، سواء قبلنا بأنه هو الذى زحزح الحجر أم لا.

- بالرغم عن ما ورد بإنجيل متى من أن الملاك نزل من السماء وزحزح الحجر أمام النسوة، فإن هذه الرواية فضلا عن أن إنجيلا آخر لم يذكرها. فهى رواية مضطربة، خاصة للفترة ما بين تعليق المسيح على الصليب، وخروجه من القبر، إذ تتحدث عن زلزالين أحدهما عندما أسلم المسيح الروح - بحسب الرواية - وانشقاق حجاب الهيكل والصخور تشققت، والقبور تفتحت، «وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور، ودخلوا المدينة، وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧ / ٥١-٥٣)... وبالرغم من أن هذه الأحداث لم تذكر فى أى من كتب التاريخ، علما بأنها كانت من الأحداث التى لا يهملها المؤرخون اليهود والذين كانوا متواجدين فى هذه الفترة. كذلك فإن أحداثا كتلك، كانت كفيلة بازدياد أعداد المؤمنين بالمسيح إلى أعداد كثيرة، الأمر الذى لم يحدث، إذ إنه وبحسب إنجيل متى نفسه، صاحب الرواية، فإن تلاميذ المسيح كان عددهم أحد عشر بعد القيامة، وحتى صعوده للسماء. كما يزعمون. (متى ٢٨ / ١٦).

- يمكن أن نعتبر أن هذا الملاك هو الذى ظل ملازما المسيح منذ بداية محنته فى بستان جثيمانى، وعندما كان معلقا على الصليب بحسب نبوءات الكتاب المقدس بالمزمور ٣٤، ٣٥ السابق الحديث عنهما بالنبوءات.

- الاحتمال الأقوى هو أن يوسف الرامى ونيقوديمس هما اللذان زحزحا الحجر... يلاحظ أن يوسف الرامى هو الذى زحزح (دحرج) الحجر أولا بعد وضع المسيح فيه، بعد إنزاله من على الصليب (بحسب الأناجيل، متى ٢٧ / ٦١). (١١)

* * *

سادسا: بعد الخروج من القبر

يستحسن قبل مناقشة هذه النقطة أن نستعرض ما ورد بالأناجيل بهذا الخصوص وبعد ذلك نبدأ المناقشة.

١ - متى ٢٨ / ١- ٢٠:

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت؛ لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما. فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو هاهنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه. واذهبا سريعا قولا لتلاميذه إنه قام من الأموات. هاهو يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما.

فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه. وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه. إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع: لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى.

وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان. فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين. قولوا إن تلاميذه أتو ليلا وسرقوه ونحن نيام، وإذا سُمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين. فأخذوا الفضة وفعلوا كما عَلَّموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم [يوم كتابة إنجيل متى].

وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكُّوا. فتقدم يسوع وكلمهم قائلا. دُفِع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب

والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين».

* * *

من هذا النص يمكن أن نستخرج الآتى:

١ - مريم المجدلية ومريم الأخرى هما اللتان حضرتا إلى القبر فجرا.

٢ - نزل الملاك ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه.

٣ - يسوع لاقى المرأتين وهما منطلقتان فى الطريق لتخبرا التلاميذ... وليس أمام المقبرة.

٤ - أمسكت المرأتان بقدمى يسوع وسجدتا له. ولم يعترض يسوع.

٥ - شاع عند اليهود (حتى تاريخ كتابة الإنجيل - الفترة من ٨٥-١٠٥ م) أن تلاميذ المسيح أتوا ليلا وسرقوه.

٦ - الفقرة الأخيرة والخاصة بالانسياح لجميع الأمم والتعميد باسم الآب والابن والروح القدس. فقد تم مناقشتها قبلا، عند مناقشة النصوص الواردة بالإنجيل والتى تفيد حصر الرسالة فى بنى إسرائيل. [موضوع ميراث الخطيئة].

لم يوضح لنا النص ما الذى حدث بعد زحزحة الحجر؟... ومن خرج؟.. وكيف؟.. لأن زحزحة الحجر عن الباب تعنى أن جسما ماديا سوف يخرج منه... لأنه لو كان الذى خرج من المقبرة هو جسم نورانى أو روح أو هو الله (كما يزعمون)، ما كان فى حاجة إلى زحزحة الحجر.

* * *

٢ - إنجيل مرقس ١٦ / ١- ١٩:

«وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه. وباكر جدا فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج. لأنه كان عظيما جدا. ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن: لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام. ليس هو هاهنا. هو ذا الموضع الذى وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعا وهربن من القبر. لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات.

٩ وبعد ما قام باكر فى أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين. فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا. ١٢ وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين.

١٤ أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام. وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيات وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.

١٩ ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله. وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين.

***

من هذا النص يمكن أن نستنتج الآتى:

١ - مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة هن اللائى حضرن إلى القبر.. إذ طلعت الشمس.

٢ - ذهبن ليدهن جسد المسيح بالحنوط.

٣ - رأوا عند وصولهن أن الحجر قد زحزح بدون أن يروا الملاك خارج المقبرة.

٤ - بعد دخولهن إلى القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء.. داخل القبر وليس خارجه. وليس جالسا على الحجر (قد يكون ملاكا)..

٥ - الشاب هو الذى أخبرهن عن المسيح.

٦ - ظهر أولا لمريم المجدلية منفردة. فذهبت منفردة أيضا وأخبرت الذين كانوا معه.

* * *

يقول دنيس إريك نينهام أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل، فى كتابه - تفسير إنجيل مرقس - صفحة ٢٤ ما يلى:

«ولقد زحفت على الإنجيل تغييرات تعذر اجتنابها. وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد. ومن بين مئات المخطوطات - **للنسخ التى عملت باليد - لإنجيل مرقس، والتى عاشت إلى الآن. فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماما**».

ويقول:

«نهاية هذا الإنجيل غير متفق عليها فى النسخ المختلفة إذ إن الإصحاح السادس عشر - وهو الأخير - يحتوى على عشرين عددا، لكن الأعداد من رقم ٩ إلى رقم ٢٠، وهى آخر الإنجيل تعتبر فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير موثوق منها».

(من كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية. للمهندس محمد عبدالوهاب .. صفحة ٥٥).

٣ - إنجيل لوقا ٢٤ / ١-٤٣:

«١ ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس. فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر. فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. ٤ وفيما هن مُحتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة.. ٨ فتذكرن كلامه.

ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله... ١٠ وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل.... ١٢ فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة. وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس... ١٥ وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما.... ١٩ فقال لهما وما هى. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب... ٢٨ ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد. فألزماه قائلين: امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار. فدخل ليمكث معهما. فلما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما... ٣٦ وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحا. فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم. ٣٩ انظروا يدى ورجلى إنى أنا هو. جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه... ٤١ وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبين قال لهم أعندكم هاهنا طعام. فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم».

***

اضطررنا إلى اختصار بعض فقرات من هذا الإصحاح. وقد نوهنا إلى ذلك بذكر أرقام الأعداد. علما بأن الأعداد التى أسقطناها لم تكن لتضيف أو تخصم شيئا من العبارات المقتبسة. ومن أراد التوسع فليقرأ بتوسع.

ومن الأعداد المختارة يمكن أن نستنتج الآتـى:

١ - اللاتى ذهبن إلى القبـر أول الفجر، كن مريم المجْـدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقـيات (لم يحدد أسماءهن أو أعدادهن)... وكلهن دخلن إلى القبر. وأخبرن التلاميذ وجميع الباقين.

٢ - لم يرد أى ذكر عن مقابلة المسيح لأى من النسوة.

٣ - بطرس هو الذى نظر القبر أولا.

٤ - كان المسيح معروفا بين الـناس حتى وضعه فى القبر. بأنه **إنسان نبى** مقتدر فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب.

٥ - أخذ خـبزا وبارك وكـسر ونـاولهمـا (الغـريبـين اللذين قـابلـهما فى الطريق)... لم يذكر النص صراحة بأن المسيح أكل، ولكن يفهم ذلك ضمنيا. وخـاصة أنه لا يوجد ما يمـنع ذلك حيث إنه أكل مع التلاميذ بعد ذلك.

٦ - قال للتلاميـذ عند دخوله عليهم، وجزعوا وظنوا أنهم رأوا روحا، قال لهم: إنه (هو هو) **لـيس بـروح فإن الـروح ليس له لحم وعـظم كـما تـرون**. وأراهم يديه ورجليه وجسوهما.

٧ - أكل معهم سمكا مشويا وشهد عسل

* * *

٤ - إنجيل يوحنا الإصحاح العشرون:

«١ وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر والظلام باق. فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس. وإلى التلميذ الذى كان يسوع يحبه...

«٣ فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معا. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر..

«١١ أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين...

«١٣ فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين. قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء ونظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع. وقال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين. من تطلبين. فظنت تلك أنه البستانى فقالت له يا سيد إن كنت أنت حملته فقل لى أين وضعته. وأنا آخذه. قال لها يسوع يا مريم. فالتفتت تلك وقالت له: ربونى الذى تفسيره يا معلم. قال لها يسوع لا تلمسينى لإنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى....

«١٩ ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه....

«٢٦ وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلون وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال سلام لكم. ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى وهات يدك وضعها فى جنبى».

ثم تتوالى ظهورات يسوع للتلاميذ على بحيرة طبرية (الإصحاح ٢١) وسألهم إن كان عندهم إدام (الذى يستفاد منه أنه شعر بالجوع).. ولما لم يجد

باركهم فى الصيد وقال لهم قدموا من السمك الذى أمسكتم. . . ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك.

* * *

كما فعلنا فى الجزء المختار من إنجيل لوقا. .اضطررنا - رغبة فى عدم الإطالة - إلى الاختصار مع عدم الإخلال.

ومن الأعداد المختارة يمكن أن نستنتج الآتى:

١ - التى ذهبت إلى القبر أولا هى مريم المجدلية منفردة. والظلام باق.

٢ - ذهبت مريم المجدلية - منفردة أيضا - وأخبرت بطرس والتلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه.

٣ - بطرس والتلميذ الآخر هما اللذان ذهبا إلى القبر أولا. التلميذ الآخر انحنى وأبصر القبر ولكنه لم يدخل، ثم جاء سمعان بعده ودخل.

٤ - مريم المجدلية انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين جالسين فدار حوار بينها وبينهم.

٥ - التفتت إلى الوراء - وهى خارج القبر - فنظرت يسوع واقفا لابسا رداء البستانى. فلم تعرفه إلا عندما قال لها يا مريم.

٦- قال لها يسوع لا تلمسينى. اذهبى أخبرى إخوتى.

٧ - حيث كانت الأبواب مغلقة، جاء يسوع ووقف وسطهم وأراهم يديه وجنبه (ليس يديه ورجليه كما فى إنجيل لوقا).

٨ - فى ظهور آخر على بحيرة طبرية. سأل إن كان عندهم إدام (أكل) - دليل على أنه كان جائعا -.

٩ - أكل معهم خبزا وسمكا (أخذ وأعطاهم).

* * *

جدول مقارنة بين ما ورد بالأناجيل عن الخروج من القبر وما بعده

إنجيل متى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا
١ - مريم المجدلية ومريم الأخرى هما اللتان ذهبتا إلى القبر- فجرا-لتنظرا القبر. (لم يتحدث عن الحنوط).	- مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حضرن للقبر إذ طلعت الشمس، وكن قد اشترين حنوطا، وكن يقلن من يدحرج لنا الحجر عن القبر.	- فرجعن (من بعد تعليق المسيح على الصليب) وأعددن حنوطا وأطياب. وفى السبت استرحن حسب الوصية. - مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات حضرن إلى القبر أول الفجر.	-مريم المجدلية منفردة هى التى ذهبت إلى القبر والظلام باق. (لم يتحدث عن الحنوط ولا عن سبب الزيارة)
٢ - نزل الملاك وزحزح الحجر أمامهن وجلس عليه (خارج المقبرة).	- وجدن الحجر مزحزحا، ولم يبصرن الملاك وهو يزحزحه، ورأوا الملاك داخل المقبرة بعيدا عن الحجر.	- وجدن الحجر مزحزحا قبل حضورهن. ولم يروا الملاك، ورأوا رجلين بثياب براقة خارج المقبرة.	- وجدت الحجر مرفوعا قبل حضورها. فذهبت وأخبرت التلاميذ. وعند عودتها معهم رأت ملاكين بثياب بيضاء جالسين داخل المقبرة.
٣ - يسوع لاقى المرأتين وهما منطلقتان فى الطريق لإخبار التلاميذ. وليس أمام المقبرة، قال لهما سلام لكما وأمسكتا بقدميه وسجدتا له.	- قابلته أولا مريم المجدلية دون ذكر المكان أو الكيفية. *** يلزم المقابلة بين ١٦ /٥-٨ مع ١٦ / ٩-١٩. (تنافر تام)**	- لم يرد أى ذكر لمقابلة بين المسيح وأى من النسوة وبالطبع عدم ملامسته أو السجود له.	- مريم المجدلية قابلت يسوع خارج المقبرة، ونهاها عن أن تلمسه لأنه لم يصعد لأبيه. *** يلزم المقابلة مع ما ورد بمتى بهذا المسلسل (٣).**
٤ - مريم المجدلية ومريم الأخرى هما اللتان أخبرتا التلاميذ.	- مريم المجدلية منفردة ذهبت لإخبار التلاميذ.	- مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات هن اللائى ذهبن وأخبرن التلاميذ. - أرى التلاميذ يديه ورجليه (مكان التثبيت على الصليب) وقال لهم: إنى أنا هو جسونى. - أكد لهم أنه جسم مادى من لحم وعظام وليس روحا. - سألهم عن إن كان عندهم طعام. - أكل معهم سمك مشوى وشهد عسل. - قبلا كان قد أكل مع الغريبين الذين قابلهما على الطريق خبزا.	- مريم المجدلية منفردة ركضت وأخبرت سمعان بطرس والتلميذ الذى كان يسوع يحبه. - سألهم إن كان عندهم إدام، ولما أجابوه بالنفى باركهم فى الصيد. - أكل مع التلاميذ سمك وخبز على بحيرة طبرية. - عندما قابلته مريم خارج القبر كان مرتديا ملابس البستانى.

هذه ليست كل الخلافات بين الأناجيل بخصوص هذه الفترة، ولكن رأينا الاكتفاء بما ذكر كنماذج.

ومن شاء الاستزادة فليراجع بنفسه الأناجيل لهذه الفترة.

ملاحظات عامة:

- شاع عند اليهود حتى تاريخ كتابة إنجيل متى (٨٥-١٠٠م) - لايعرف تاريخ محدد لكتابة الأناجيل - كان شائعا بأن تلاميذ المسيح أتوا ليلا وسرقوه!! (متى ١٨ / ١١-١٥).

- كان المسيح معروفا بين الناس حتى وضعه فى القبر بأنه(إنسان مقتدر فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب). (لوقا ٢٤ / ١٩)

- لم توضح الأناجيل ما الذى حدث بعد زحزحة الحجر عند حضور النسوة للقبر - حيث إن زحزحة الحجر تمت فى حضور النسوة (بحسب متى). أو قبلها كما فى باقى الأناجيل. حيث إن زحزحة الحجر تعنى بأن جسما ماديا سوف يخرج من القبر؛ لأنه لوأن الذى سوف يخرج كان جسما نورانيا لما كان هناك داع لزحزحة الحجر.

- أوردت الأناجيل كما توضح قبلا بأن التلاميذ وجدوا المسيح وسطهم فى مخبئهم، خوفا من اليهود، وكانت الأبواب مغلقة. وهذا يتنافى مع:

١ - احتاج المسيح، حتى يخرج من القبر، إلى زحزحة الحجر الذى كان أمام القبر.

٢ - ما وضحه المسيح للتلاميذ من أنه هو هو من عظم ولحم (أى جسم مادى) وأراهم جروحه.

ولم يبق سوى احتمال واحد وهو أن يكون المسيح قد سبق التلاميذ إلى هذا المكان. (لا يوجد نص يؤكد هذا الفرض سوى المنطق السليم).

* * *

ويستفاد من جدول المقارنة بين ما ورد فى الأناجيل الأربعة عن مرحلة ما عد وضع جسد المسيح فى القبر. ما يلى:

١ - اختلفت روايات الأناجيل في:

= الذهاب إلى القبر (عدد النسوة والموعد والغرض):

أ - مريم المجدلية ومريم الأخرى ذهبتا إلى القبر أولا، فجرًا، لتنظرا القبر. بحسب متى.

ب - مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حضرن إلى القبر أولا، إذ طلعت الشمس، ليدهنانه. بحسب مرقس.

جـ - مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات اشترين حنوطا وأطيابا بعد تعليق المسيح على الصليب (مساء الجمعة). واسترحن يوم السبت. وأول الأسبوع ذهبن إلى القبر أولا، أول الفجر، ليدهنانه. بحسب لوقا.

د - مريم المجدلية منفردة ذهبت إلى القبر أولا، والظلام باق، بحسب يوحنا.

= مقابلة يسوع للنسوة (عدد النسوة ومكان المقابلة):

أ - يسوع لاقى المرأتين - مريم المجدلية ومريم الأخرى - وهما منطلقتان بالطريق لتخبرا التلاميذ - بعيدا عن المقبرة. بحسب متى.

ب - يسوع لاقى مريم المجدلية بدون ذكر المكان أو كيفية اللقاء. بحسب مرقس.

جـ - يسوع لم يقابل أيا من النساء. بحسب لوقا.

د - يسوع قابل مريم المجدلية منفردة. بحسب يوحنا.

- الملائكة عند القبر:

أ - الذى نزل من السماء ملاك واحد. وزحزح الحجر أمام النساء وجلس عليه خارج المقبرة. بحسب متى.

ب - أبصرت النساء شابا لابسا حلة بيضاء جالسا داخل المقبرة (قد يكون ملاكا. ولكن الإنجيل لم يصرح بذلك). بحسب مرقس.

جـ - أبصرت النساء رجلين بثياب براقة خارج المقبرة. (قد يكونا ملاكين ولكن الإنجيل لم يصرح بذلك). بحسب لوقا.

د - وجدت مريم المجدلية ملاكين بثياب بيضاء جالسين داخل المقبرة. بحسب يوحنا.

= إخبار التلاميذ بظهور المسيح:

أ - مريم المجدلية ومريم الأخرى هما اللتان أخبرتا التلاميذ بخروج المسيح من القبر. بحسب متى.

ب - مريم المجدلية منفردة هى التى أخبرت التلاميذ بخروج المسيح من القبر. حسب مرقس ويوحنا.

جـ - مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات هن اللاتى ذهبن لإخبار التلاميذ. بحسب لوقا.

- لمس النساء للمسيح:

أ - عندما لاقى المسيح مريم المجدلية ومريم الأخرى فى الطريق بعد الخروج من القبر. تقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. بحسب متى.

ب - قال المسيح لمريم المجدلية عندما ظهر لها أول مرة أمام المقبرة «لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى» بحسب يوحنا ٢٠ / ١٧.

لم يتكلم عن ذلك أيا من الإنجيلين الآخرين (مرقس ولوقا).

= شراء الحنوط:

أ - النساء اللائى تبعن المسيح من الجليل إلى الجلجثة (مكان تعليق المسيح على الصليب). ونظرن القبر. رجعن وأعددن حنوطا وأطيابا (يوم

الصلب - الجمعة). وفى السبت استرحن حسب الوصية. حسب لوقا ٢٣ / ٥٥-٥٦ .

ب - اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا - بعد ما مضى السبت -. بحسب مرقس ١٦ / ١٠ .

وإذا قلنا بأن الأناجيل تتحدث عن مسيح واحد. وقبر واحد - الذى وضع فيه المسيح -. وعن يوم واحد وهو أول الأسبوع اليهودى (التالى لوضع المسيح فى القبر). وفترة زمنية واحدة -باكر صباح يوم الأحد التالى للتعليق على الصليب- أى أنه وبحسب علماء اللغة فإن الجهة غير منفكة - أى جهة واحدة - نقول إذا كان الأمر كذلك ومع هذا الكم الهائل من التناقض والتنافر بين روايات الأناجيل عن هذه الفترة (الفترة من تعليق المسيح على الصليب وحتى خروجه من القبر) فإن ذلك يقودنا بسهولة إلى عدم الثقة فى أى رواية من هذه الروايات عن هذه الفترة. . لأنه يستحيل أن تكون كلها صحيحة. وحيث إنه لا يوجد ما يرجح رواية على الأخرى. فإنة يمكن -بدون تثريب - رفض جميع هذه الروايات عن هذه الفترة.

٢ - اتفاق روايات الأناجيل أو انفراد بعضها:

= اتفق إنجيلا لوقا ويوحنا فى أن المسيح أكل مع التلاميذ على بحيرة طبرية. . اختلفا فى أن أحدهما قال إنه أكل معهم سمكا مشويا وشهد عسل (لوقا) والآخر (يوحنا) قال إنه أكل سمكا وخبزا. وإمعانا فى حسن الظن (وهو الواجب عند تناول كتب العقائد) نستطيع أن نفترض بأن المسيح أكل سمكا وخبزا وشهد عسل.

= انفرد إنجيل لوقا (من بين الأناجيل الأربعة) بما يلى:

- المسيح أرى التلاميذ يديه ورجليه وقال لهم إنى أنا جِسُّونى.

- أكد المسيح للتلاميذ بأنه جسما ماديا من لحم وعظام وليس روحا.

من ذلك نستطيع أن نثق فى هذه الأخبار المنفرد الإخبار عنها، والمتفق عليها لعدم وجود ما يناقضها.

جسد المسيح

لا نستطيع أن ننهى البحث عند هذه النقطة، قبل أن نناقش سؤالا هاما وهو:

أين ذهب جسد المسيح؟

- من الثابت ووفقا للأناجيل الأربعة بأن جسد المسيح لم يعرف له قرار.. فأين ذهب جسد المسيح؟.

قبل الإجابة يستحسن أن نقرر الآتى:

١ - أن المسيح لم يكن هو الله (الكلمة).. ولكنه هو الإله المتجسد. ويتكون بحسب تصنيف الآباء، من الله (الكلمة) متحدا مع جسد بشرى.

٢ - هذا الجسد البشرى قد ابتدأ فى رحم مريم حتى يحل فيه الله (الكلمة).. أى أن الجسد حادث وليس قديما، حث ابتدأ من مريم.

٣ - احتاج الله (الكلمة) لهذا الجسد فقط حتى يستطيع أن يتعايش مع البشر، من فرط محبته لهم، [كما يزعمون].

٤ - بعد تمام عملية الفداء والصلب وصعود الله (الكلمة) إلى السماء، والجلوس على يمين الله - كما ورد بالإنجيل - (لم يحدد الإنجيل أى إله جلس الابن عن يمينه، هل هو الله (الآب)، أم هو الله (الروح القدس) أم هو الله الثنائى الذى يتكون من الآب والروح القدس.. وهذا التصور الأخير (الله الثنائى) هو الأقرب إلى التصور، حيث إنه عندما كان الابن على الأرض كان الثالوث ناقصا فى السماء.. وإلا فما معنى أنّ الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله؟.. نقول بعد الصعود إلى السماء. لم يكن الله (الكلمة) فى حاجة إلى هذا الجسد. حيث لا يقبل بأن يحتفظ الله (الكلمة) بهذا الجسد البشرى

وهـو جالس عن يمـين الله حـيث أن ذلك سوف يـحول الـثالوث إلى أربعة: الآب والابن والروح الـقدس والجسد الـبشرى... وهذا باطل مسيحيا.

لما كان ذلك كذلك... فأين ذهب الجسد؟.

ولو استحضرنا ما ورد بإنجيل لوقا ٢٤ / ٣٦-٤٠ (عن ما بعد خروج المسيح من القبر) والذى جاء فيه: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا **وظنوا أنهم رأوا روحا**. فقال لهم ما بالكم مضطـربين. ولماذا تـخطر أفكـار فى قلوبـكم. انظروا يـدى ورجلى إنى أنا هو. جسونى وانـظروا فإن الروح ليس له لحم وعظم كـما ترون. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه».. (١٢)

* * *

يحق لنا بعـد هذا الاستعراض، أن نقول بـأن المسيح - الإنسان - قد خرج من القـبر بعد أن أزيح الحجر عن بـاب القبر. وتم مداواة جراحه مـكان التعليق. حيث لم يـكن قد مات على الصـليب. وأنه لم يكن يستـطيع الخروج لولا إزاحة الحجر من أمام باب القبر.

* * *

ختاما لموضوع صلب المسيح

قبل ختام الفصل الخاص بصلب المسيح ليس أهم من إيراد الفقرة التى وردت فى رسالة بولس للعبرانيين:

«الذى فى أيام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت. **وسُمِع له من أجل تقواه»** ٥ / ٧. . . .

فى هذه الفقرة يقرر بولس بأن المسيح قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر وهو الله بأن يخلصه من الموت، وقد سُمِع له من أجل تقواه.

ويشير بولس بذلك إلى ما حصل من المسيح فى بستان جشيمانى ونعيد هنا نص ما ورد بإنجيل لوقا (وقد ناقشناه قبلا تحت عنوان أحداث بستان جشيمانى).

يقول لوقا ٢٢ / ٤١-٤٤: «وانفصل عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك. . . وظهر له ملاك من السماء يقويه. . . وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض».

وهو يكاد يكون متطابقا مع ما ورد بالرسالة إلى العبرانيين، والتى فيها أن **الله سمِع له من أجل تقواه**. . . وقد خلصه الله من الموت. . . وفى ورود مثل هذا النص على لسان بولس، عجب وأى عجب، ومصدر العجب فى ذلك هو أن المسيحية بالنسبة لبولس (والتى مازالت تمارس حتى الآن) هى فى صلب المسيح وقيامته لا فى نجاته كما سبق توضيحه قبلا وتنطق به النصوص التى ما زال باقيا منها ما يمكن أن يكوِّن عقيدة صحيحة.

ولا يقدم التفسير التطبيقى للكتاب المقدس أى تفسير مفهوما عن ما ورد برسالة بولس للعبرانيين. إذ يقول فى صفحة ٢٦٤٧ ما نصه:

«هل شعرت مرة أن الله لم يسمع صلواتك؟ تأكد أنك تصلى بروح مطيعة، وأنك مستعد أن تفعل ما يريده الله، فإن الله يستجيب أبناءه المطيعين».

وهنا يحق لنا أيضا [بناء على ما سبق بيانه] بأن نفترض تدخل العناية الإلهية فأرغمت بولس على تسجيل هذه العبارة حتى تظل شاهد حق على ما حدث. ونقول بإرغام بولس حيث إن هذا النص يتعارض مع أفكاره.

الحق والعدل فى هذه النقطة يقتضينا أن نثبت الآتى:

- الرسالة إلى العبرانيين غير معروف على وجه اليقين كاتبها. ويعترف بذلك مشايخ المسيحية. إذ إنها ظلت حتى قرب بداية القرن الخامس الميلادى مرفوضة من الكنيسة وغير معتبرة من النصوص القانونية.

(رفض فى مجمع نيقية ٣٢٥ م، من كتبهم المعتبرة عندهم الآن: رسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا.. مع غيرهما كثير) ولكن تم إقرار هذه الرسائل فى المجامع التالية.

***

وختاما لموضوع صلب المسيح وبعد استعراض ما توضح قبلا بهذا الخصوص. نستطيع وبقلوب مطمئنة أن نقرر:

١ - شاع عند اليهود أن تلاميذ المسيح أتوا ليلا وسرقوه من القبر. بحسب متى ٢٨ / ١١-١٥. وهناك ما يعضد هذا الخبر (ويخرجه من دائرة الإشاعة). وذلك بعد مراجعة ما سبق مراجعة دقيقة وأمينة وبدون التمسك بأفكار مسبقة.

٢ - كان المسيح معروفا - حتى تاريخ التعليق على الصليب - بأنه إنسانا مقتدر فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب.

بحسب لوقا ٢٤ / ١٩.

ونستطيع أن نقرر أيضا وبقلب مطمئن وضمير راض:

أن المسيح لم يمت على الصليب. بل أنزل من عليه حيًا. فقط أنزل مغشيا عليه وبدا كما لو كان ميتا. وأن الأمور سارت كالآتى:

أ - يوسف الرامى ونيقوديمس ومريم المجدلية كانوا يعرفون بأن المسيح لم يمت على الصليب لأنهم هم الذين أنزلوه من عليه. وأنهم كانوا وحدهم من وَضَعَ المسيح فى الكفن، ولم يذيعوا الخبر خوفا عليه من اليهود. (يلاحظ أن تلاميذ المسيح كلهم تركوا المسيح وحده وهربوا عند القبض عليه فى جشيمانى (قبل المحاكمة والتعليق على الصليب وحتى تقابل معهم بعد الخروج من القبر).

ب - زيارة مريم المجدلية للقبر كانت للاطمئنان على المسيح وليس لدهانه، وقد قمنا بنفى عملية الدهان وأن عملية دهان جسد الميت عند اليهود كانت فقط عند التكفين وليس بعد أيام من الدفن.

(يلاحظ أن إنجيلى متى ويوحنا لم يتكلما عن عملية الدهان والحنوط). وأن الزيارة كانت (لتنظرا القبر) كما وردت بإنجيل متى.

جـ - كما دحرج يوسف الرامى الحجر وسد القبر بعد وضع جسد المسيح فيه، بعد إنزاله من على الصليب، . . فإنه قد قام ليلا (بعد وضع المسيح فى القبر)، بدحرجة الحجر من أمام االقبر، وفك الأكفان وأخرج المسيح منها، وألبسه لباس البستانى [وهى الهيئة التى وجدته عليها مريم المجدلية أمام القبر بحسب يوحنا ٢٠/ ١٥] - للتضليل خوفا عليه من اليهود - وبدأ فى مداواة جراحه، التى لم تكن قد التأمت عندما نهى مريم المجدلية عن ملامسته. فى حين سمح للتلاميذ بعد ثمانية أيام عند ظهوره لهم بملامسته، عندما قال لهم جسونى.

د - كان جائعا عندما طلب الأكل مع الغريبين اللذين قابلهما فى طريقه إلى الجليل. وأيضا عندما أكل مع الـتلاميذ على بحيرة طبرية. (يلاحظ أن أكله كان بناء على طلبه).

قد تبدو النتائج المذكورة قبلا، صادمة للبعض، ولكن ومن واقع الاستعراض السابق. فإن لكل فرضا ما يؤيده من نصوص الإنجيل، وفقا للتحليل السابق.... والله من وراء القصد.

***

تذييل

يجمل بنا فى آخر هـذا البحث أن نعرض بعض النماذجِ الكاشفة لتفكير آباء الكـنيسة. وقد اخـترنا هذه الـنماذج من كتب تعـتبر عُمـدة. . وحائزة على رضا وتقدير أحـبار الكنيسة وعلى رأســهم قداسة بابا وبطريـرك الكرازة المرقسية، الذى منح الكـتاب طرس البركـة. . ونعنى بالكـتاب. . «علم اللاهوت بحـسب معتقد الـكنيسة القبطـية الأرثوذكسية». للعلامـة المتنيح ميخائيل مـينا (الكتاب صادر عام ١٩٣٦ م. ومودع بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٣٩ لسنة ١٩٣٦). . .

ورد بالكـتاب كرد على اعتراضات الملحدين، أى المخالفين فى العقيدة، جاء ما يلى:

عدَّد جناب القمص بعض الاعتراضات ثم أردفها بالردود ومنها:

- نسب السيد المسيح الوارد فى إنجيل متى ١ / ١-١٧ يناقض نسبه الوارد فى لـوقا ٣ / ٢٢-٣٨ حـيث قـيل فى الأول (يـسـوع المسيح بن داود بن إبراهيم). . وقيل فى الثانى (يسوع المسيح بن يوسف بن هالى). . .

يقول جناب القمص فى رده على هذا الاعترض فيقول:

«وندفع شـبهـة هذا الخلاف وهو أن نسب السيد المسيح الوارد فى إنجيل متى ١ / ١ ينـاقض نسبه الـوارد فى إنجيل لوقا ٣ / ٢٣. . بأن متى ذكـر نسب يوسف ولوقا ذكر نسب مريم ليوضح أن الـسيد المسيح تناسل حسب الجسد من داود ليس من جهة يوسف خطيب مريم فقط، بل من جهة مريم أمه الحقيقية». . انتهى كلام جناب القمص.

وقبل أن نعقب ونقيّم هذا الرد يـجب أن نستعرض النصين الواردين فى كل من إنجيل متى ولوقا وفقا للجدول المرفق مع ملاحظة أن:

ابتدأ إنجيل متى ١ / ١-١٧ هكذا: «كتاب ميلاد المسيح بن داود بن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحق. . .حتى وصل إلى. .ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها المسيح».

بينما إنجيل لوقا ٣ / ٢٣-٣٨ هكذا: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن أنه ابن يوسف بن هالى بن متثات. .حتى وصل إلى. . .بن إسحق بن إبراهيم. . . . . .بن أنوش بن شيت بن آدم بن الله». . (١٣)

وأننا سوف نقوم بالآتى:

١- نعـيد كتابة مـا ورد بإنجيل متى عن نـسب المسيح معكـوسا حتى تسهل المقارنة مع ما ورد بلوقا. بحيث نبدأ بيوسف كما بدأ لوقا.

٢ - انتهينا بالنسب الوارد بإنجيل لوقا عند إبراهيم. وهو ما انتهى إليه متى. حتى تسهل المقارنة أيضا.

***

بملاحظة ما ورد بإنجيلى متى ولوقا نجد أن:

أ - كلا الإنجيلين ذكر نسب يوسف ولم يذكر أيهما نسب مريم.

ب - عن أن لوقا ذكر نسب مريم!! لم يوضح لنا جناب القمص كيف كان ذلك؟

جـ - ماذا عن الخمسة عشر جيلا الفرق بين الأجيال المذكورة بالإنجيلين.

د - المسيح تناسل من داود عن طريق سليمان.. حسب متى. المسيح تناسل من داود عن طريق ناثان!!

هـ - ماذا عن اختلاف الأسماء ما بين يوسف (خطيب مريم) وداود.. فى كل من الإنجيلين!.

* * *

مثال آخر:.. يرد جناب القمص على العبارة التى قالها المسيح فى إنجيل يوحنا ١٤ / ٢٨: «أبى أعظم منى»... فيقول: «قال القديس أثناسيوس (إن المسيح وقتئذ كان متكلما بالطبيعة الإنسانية كإنسان ولهذا بكل حق نظرا إلى ذلك الله الأب أعظم منه»... وقال القديس كيرلس (ليس أصغر من الآب بذات الجوهر والمشابهة التامة من كل وجه بل أنه أصغر منه بذات الناسوت)».

.. انتهى كلام جناب القمص.. لا تعليق على هذا القول سوى أنهم يفرقون فى كلام المسيح بدون أى سند من الكتاب المقدس. فلا يوجد فى الكتاب المقدس كله ما يفيد بأن المسيح كان يتكلم مرة بطبيعته الإنسانية ومرة بطبيعته الإلهية. ولم يؤثر عن المسيح قول مثل ذلك القول (بأنه مرة يتكلم كإنسان ومرة كإله). كذلك فإنهم يصرفون اللفظ عن ظاهره بدون علة صارفة.. (١٤)

نسب المسيح كما ورد بإنجيلى متى ولوقا

إنجيل متى ١ / ١-١٧	إنجيل لوقا ٣ / ٢٣-٣٨	إنجيـل متى	إنجيـل لوقـا
يوسف (خطيب مريم)	يوسف	-	ابن يوريم
ابن يعقوب	ابن هالى	-	ابن متثات
ابن متان	ابن متثات	-	ابن لاوى
ابن أليعازر	ابن لاوى	-	ابن شمعون
ابن أليود	ابن ملكى	-	ابن يهوذا
ابن أخيم	ابن ينا	-	ابن يوسف
ابن صادوق	ابن يوسف	-	ابن يونان
ابن عازور	ابن متثيا	-	ابن الياقيم
ابن الياقيم	ابن عاموص	-	ابن مليا
ابن أبيهود	ابن ناحوم	-	ابن منيان
ابن زربابل	ابن حسلى	-	ابن متاثاين
ابن شلتائيل	ابن نجاى	-	ابن ناثان
ابن يكنيا	ابن مآث	ابن داود	ابن داود
ابن يوشا	ابن متاثيا	ابن يسى	ابن يسى
ابن آمون	ابن شمعى	ابن عوبيد	ابن عوبيد
ابن منسى	ابن يوسف	ابن بوعز	ابن بوعز
ابن حزقيا	ابن يهوذا	ابن سلمون	ابن سلمون
ابن آحاز	ابن يوحنا	ابن نحشون	ابن نحشون
ابن يوثام	ابن ريا	ابن عميناداب	ابن عميناداب
ابن عزيا	ابن زربابل	ابن آرام	ابن آرام
ابن يورام	ابن شالتيل	ابن حصرون	ابن حصرون
ابن يهوشافاط	ابن نيرى	ابن فارص	ابن فارص
ابن آسا	ابن ملكى	ابن يهوذا	ابن يهوذا
ابن أبيا	ابن أدى	ابن يعقوب	ابن يعقوب
ابن رحبعام	ابن قصم	ابن اسحق	ابن اسحق
ابن سليمان	ابن ألمودام	ابن إبراهيم	ابن إبراهيم
-	ابن عير		
-	ابن يوسى		
-	ابن اليعازر		

ملحوظة: من أراد الاستزادة فى هذا المجال فيمكن أن يقرأ المزيد من كتاب «علم اللاهوت».

مختارات من الأناجيل

١ - «أنا أتكلم بما رأيت عند أبى. وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى **وأنا إنسان** قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنا. **لنا أب واحد وهو الله**. فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله، وأتيت، لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى. **لماذا لا تفهمون كلامى**. لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. . . . . الذى من الله يسمع **كلام الله**. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله» يوحنا ٨ / ٣٨-٤٤.

٢ - «**أنا والآب واحد**، فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه، فأجابهم، أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى، بسبب أى عمل ترجموننى، أجابه اليهود قائلين، لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها. أجابهم يسوع. أليس مكتوبا فى ناموسكم أنا قلت **إنكم آلهة**. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله. إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فى وأنا فيه». يوحنا ١٠ / ٣٠-٣٨.

٣ - «أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى **ليكونوا واحدا كما نحن**» يوحنا ١٧ / ١١.

٤ - «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم. **ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا** ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» يوحنا ١٧/ ٢٠-٢١.. (١٥)

***

الأناجيل مليئة بمثل هذه النماذج. فمن أراد المزيد فعليه بالأناجيل.

وختاما ندعو - اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه. ولا تزين لنا سوء أعمالنا.

***

المراجع

١ - الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط.

٢ - التفسير التطبيقى للكتاب المقدس

٣ - علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، القمص ميخائيل مينا-مدير كلية اللاهوت.

٤ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالى.

٥ - محاضرات فى النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة.

٦ - المسيح، عباس محمود العقاد.

٧ - المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، مهندس أحمد عبد الوهاب

٨ - إظهار الحق رحمة الله خليل الرحمن الهندى.

٩ - مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات.

١٠ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، منصور حسين عبد العزيز.

١١ - شريعة الله للمسيحيين هى شريعة الكمال، القمص أندراوس عبد المسيح.

١٢ - مع المسيح فى الأناجيل الأربعة، فتحى عثمان.

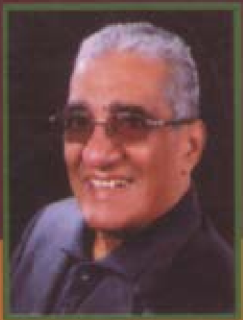
١٣ - أجوبة عن الإيمان، مصطفى ثابت.

١٤ - من دحرج الحجر، المحامى فرانك موريسون.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
من دحرج الحجر	١٣١
بعد الخروج من القبر	١٣٥
جسـد المسيـح	١٤٨
ختاما لموضوع صلب المسيح	١٥٠
تذييـل	١٥٤
مختارات من الأناجيل	١٥٨
المحتويات	١٦٣

ميراث الخطيئة
صلب المسيح



المهندس/ محمد أحمد الطاهر

حيث ورد بالكتاب المقدس:

١ - على لسان السيد المسيح.. «فتشوا الكتب».

٢ - «اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة، هلم نتحاجج، يقول الرب». أشعيا 1/17- 18.

والقرآن الكريم فى أكثر من سورة من سوره أمرنا بالإيمان بالكتب السابقة.. حقا إنه قرر أن بعضها قد تم تحريفه .. لكن يبقى أن بعض ما فيها قد يصلح لتكوين عقيدة صحيحة.

لما كان ذلك .. وجدت لزاما على أن أفتش الكتب، وأطلب الحق .. للمحاجة.. فكان هذا الكتاب نتيجة لذلك.. وهو يتحدث عن موضوعين رئيسين:

١ - ميراث الخطيئة (أساس العقيدة المسيحية الحالية).

٢ - صلب المسيح (وهو الذى كان - بزعمهم - للتكفير عن الخطيئة الموروثة).

وقد أثبت من خلال نصوص من الكتاب المقدس (لديهم)، وقرارات المجامع بطلان كلا الموضوعين. ولا أدعى أننى أملك الحقيقة المطلقة، بل أعتقد بأن ما وصلت إليه صحيح يحتمل الخطأ.. والموضوع مفتوح لكل الآراء.. وإننى على استعداد لتلقى أية آراء مخالفة وتقبلها بصدر رحب - ما دامت تقوم على أساس أدب الحوار وحسن النوايا - وتضمين أية طبعة تالية لهذا الكتاب لهذه الآراء.

والله من وراء القصد